نقطة سكون

في عالم متحرك

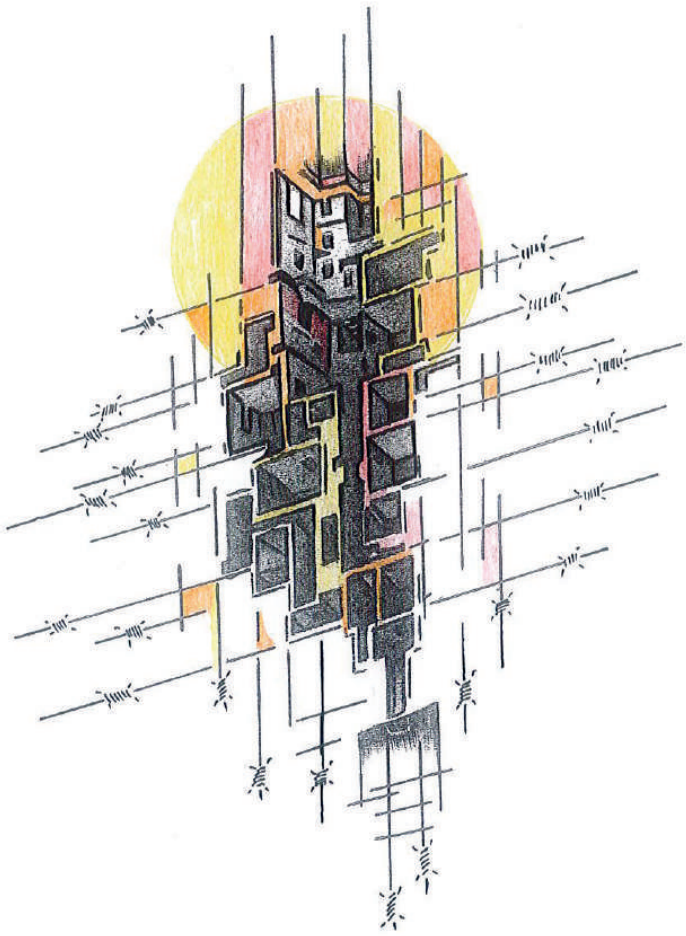

ADDAMEER الضمير

Prisoner Support and Human Rights Association

مؤسسة الضمير لرعاية الأسير وحقوق الإنسان

مؤسّسة الضمير لرعاية الأسير وحقوق الإنسان

نقطة سكون في عالم متحرك

ورقة حول الحيّز المكانيّ في السجون

نشير أن العبارة مقتبسة من الراحل نيلسون مانديلا حين قال عن السجن نقطة سكون في عالم متحرك.

تمهيد

منذ بدايات الاحتلال الأولى للأراضي الفلسطينيّة عمدت دولة الاحتلال ضمن سياسة ممنهجة إلى استخدام السجون ومراكز الاعتقال الموجودة، وإنشاء العديد منها، وزجّت فيها على مدار سنوات طوال مئات الآلاف من المعتقلين، هذه السياسة في جوهرها لم تكن استجابة خالصة لضرورات الأمن ومتطلّباته، بل ذهبت إلى ما هو أبعد من ذلك، فكانت ترجمة عمليّة لجوهر تفكير دولة الاحتلال القائم على إخضاع كلّ أطياف الشعب الفلسطينيّ لسطوة الاحتلال، ورغبته في تفريغ الأرض من سكّانها، وتحويل مَن تبقّى منهم إلى كتلة بشريّة طيّعة لقانون الاحتلال وجبروته.

وظّف الاحتلال الإسرائيليّ كغيره من كلّ احتلال عبر التاريخ كلّ أدواته المتاحة في سبيل تحقيق غاياته، وفرض منطقه على الشعب المحتلّ ليضمن بقاء سيطرته، ووجوده إلى أقصى مدى، فكانت السجون، والتجويع، والإبعاد، والقتل، والتدمير وسائل وإجراءات تهدف إلى تحقيق تلك الغاية، ومع تطوّر الزمن - وبما أنّ الاحتلال الإسرائيليّ للأراضي الفلسطينيّة يُعدّ آخر الاحتلالات في العصر الحديث- لم يتأخّر في توظيف كلّ إمكانيّاته المعرفيّة والتقنيّة لتكريس وجوده، وتحقيق تفوّقه على الشعب المحتلّ، وضمان سطوته.

ولأنّ السجون من أسوأ اختراعات البشر عمد الاحتلال إلى توظيف إمكانيّاته المعرفيّه لتحقيق غاياته القصوى في تدمير كلّ إمكانيّات الصمود لكلّ مَن زجّ بهم في غياهب السجون، وفي هذا الإطار يمكن ملاحظة العديد من التغيّرات في آليّات التعامل مع المعتقلين على مدار السنوات المختلفة، وهذه التغيّرات والتوظيفات لم تكن في إطار الإيمان بالحقوق الإنسانيّة للمعتقلين، ولم تكن أيضاً استجابةً لتطوّر مفاهيم حقوق الإنسان التي كفلتها الشرعيّة الدوليّة والمواثيق المختلفة، بل على العكس من ذلك، فتعميق الضرر والالتفاف على الحقوق والمواثيق كان الموجّه لهذه التغيّرات، ويضاف إليها محاولة التسويق للوجه المتنوّر لاحتلالٍ فاق ببشاعته الكثير من أوجه الاستعمار على مرّ التاريخ.

إنّ الحيّز المكانيّ للسجون في جوهره ليس جدراناً وأبنية محكمة الإغلاق فقط، تحول دون قدرة السجناء على التواصل مع حيّزهم الطبيعيّ، ومكاناً لإمضاء عقوبة متناسبة مع مخالفة قانونيّة ما -كما تدّعي دولة الاحتلال-، بل تعدّى ذلك ليكون حلقة في سلسلة ممتدّة من الأدوات والإجراءات المدمّرة ليس لجسد المعتقل فقط، بل تمتدّ لروحه وعقله لتجعل منه عبرة لكلّ مَن يتجرّأ على الرفض والمواجهة لإجراءات الاحتلال، وامتداداً لهذا الأفق تكون المحاكم العسكريّة وكلّ آليّاتها الشكليّة التي لا تحقّق الحدّ الأدنى من العدالة، وأوسع من ذلك يتمّ توظيف مجمل الجهاز القضائيّ للغاية ذاتها، فيما تخضع الأحداث الداخليّة بالسجون للقواعد الانضباطيّة، أو ما يُسمّى قواعد مصلحة السجون التي تُمعن في التعسّف، وهي جزء من نظام أوسع هدفه الردع والعقوبات واضطهاد الأسرى.

إنّ المتمعّن في جملة الإجراءات الاحتلاليّة سيجد أنّ منظومة الاحتلال برمّتها تتوظّف في تحقيق غاياته

كاستعمار احتلاليّ كولونياليّ يتحكّم بكلّ أوجه الحياة الخاصّة بالشعب الفلسطينيّ، وترى أنّ التعذيب والتنكيل بالمعتقلين وأُسرهم، وتدمير منازل البعض منهم كلّها إجراءات مشروعة لا تستوجب أيّ نوع من المساءلة.

إنّ احتجاز المعتقلين في السجون وخضوعهم لمنظومة مُحكَمة من الإجراءات المستندة إلى المعرفة والتقدّم العلميّ، تجعل من الحيّز المكانيّ للسجن معملاً قادراً على إحداث بالغ الأثر في وجود المعتقلين في الأوجه الفيزيائيّة والنفسيّة للمعتقلين، فأن يكون مدى النظر لا يتجاوز الخمسين متراً في أفضل ظروفه يعني شكلاً من أشكال فقدان القدرة على التواصل مع المحيط، وأن يكبر أطفالك وأنت لا تستطيع ملامسة أناملهم أو احتضانهم لوجود زجاج فاصل عازل في غرفة الزيارة فذاك يعني فراغاً في تلافيف الروح، وألّا تلامس الشمس جسدك لسنوات، وبقاؤك في رطوبة عالية تدمّر فيك ليس العظام فقط، بل تفتك بكلّ مكوّنات وجودك.

إنّ المشكلات الجسديّة والنفسيّة للمعتقلين الناتجة عن جملة الإجراءات المتّبعة لن تغادر المعتقلين لحظة حرّيّتهم، بل تبقى لصيقة وجودهم حيث يذهبون، ولسنوات طوال، والبعض ترافقهم إلى حافّة القبر، كثيرة هي النماذج التي استمرت في دفع فاتورة الاعتقال، وما حُمّل في أجسادهم وأرواحهم من أوجاع فكانت عبئاً دائماً لا يغادرهم.

السجون في دولة الاحتلال ليست أمكنة وفضاءات مكبّلة تحتجز الحرّيّة لمن يدخلها، بل هي آلة متوحّشة بشكلها وقوانينها وإجراءاتها وسياساتها، مصمّمة للفتك والقتل كما البندقية المحمولة في يد حرّاسها، وكما العقل الذي يديرها، وعلى جدرانها وفي ساحاتها الممتدّة يكون الصراع على أشدّه ما بين إرادة الحرّيّة والحياة التي يمثّلها المعتقلون، وإرادة التدمير التي ترعاها منظومة وظّفت كلّ مقدراتها لامتهان حياة البشر.

في ظلّ كلّ ما ذُكر، تأتي هذه الورقة لتسلّط الضوء على أربعة سجون، وهي: سجن الدامون، والنقب، وإيشل، وعوفر، متناولةً تفاصيل هذه السجون، ومساحاتها، وما يعيشه الأسرى من خصوصيّة داخل كلّ واحد منها، بدءاً من ظروف الغرف التي يقبعون فيها لسنوات طويلة، مروراً بتفاصيل حياتهم اليوميّة، وسعيهم للتغلّب على قهر السجّان، وصولاً إلى أسمى لحظات الفرح، وأقسى لحظات الحزن التي يمكن لأيّ أسير أن يمرّ بها خلال فترة اعتقاله.

اعتمدت هذه الورقة في وصفها السجون وتفاصيل الحياة فيها بشكل أساسيّ على مقابلات -أُجريت

خصّيصاً لهذه الورقة- مع أسرى قضوا ما يزيد عن 10 أعوام في المعتقلات، وعلى أرشيف يحتوي على مئات الزيارات التي أجرتها مؤسّسة الضمير على مدار أعوام لسجون الاحتلال المختلفة، التي وثّقت فيها مختلف ممارسات الاحتلال تجاه الأسرى، وطبيعة حياة الأسرى اليوميّة في السجون، وكلّ ما يواجهونه من سياسات. ومن جهة أخرى، وفي إطار محاولة رصد التغيّرات العمرانيّة الحاصلة على هذه السجون، فقد حاولت مؤسّسة الضمير استخدام عدد من الصور الجوّيّة لسجون الاحتلال المذكورة. وتجدر الإشارة في هذا السياق إلى محدوديّة تمكّن المؤسّسة من الحصول على صور جوّيّة واضحة إلى حدّ ما، حيث اقتصرت إمكانيّة الحصول على هذه الصور على الأعوام ما بين 2011 و 2016؛ وذلك إمّا بسبب رداءة الصور القديمة، أو بسبب وجود قيود أمنيّة على ذلك.

وتجدر الإشارة إلى أن القياسات والأبعاد الواردة في الورقة قد تختلف عن وجودها الحقيقي بهامش بسيط كونها مأخوذة حسب تقديرات الأسرى.

دليل الكلمات المفتاحيّة

الكلمات الواردة أدناه هي كلمات شائعة الاستخدام فيما يتعلّق بالأسرى وسجون الاحتلال، وحرصاً منّا على أهمّيّة توضيح المقصود بكلّ منها تمّ إعداد هذا الدليل:

الفورة: ساحة مستطيلة الشكل غالباً، تكون أرضيّتها مصنوعة من الباطون، وفي الكثير من الأحيان تكون مطليّة باللون الأحمر الداكن. تُحاط الفورة عادة بغرف الأسرى من جهة، ومن الجهة الأخرى تكون محاطة بأسوار إسمنتيّة عالية يتراوح ارتفاعها ما بين 5 - 8 أمتار. ويتمّ تغطية سقف الفورة عادةً بشبابيك حديديّة عدّة، تكون على شكل مربّعات صغيرة، وفي بعض السجون تتمّ تغطية الفورة جزئيّاً أو شبه كلّيّ. يتشارك الأسرى هذه الساحة خلال الساعات التي يُسمح لهم فيها بمغادرة غرفهم فيها، وذلك لمدد زمنيّة مختلفة تتراوح عادةً ما بين 4 -7 ساعات.

البلاطة: قطعة كهربائيّة صغيرة الحجم، وهي أشبه برأس غاز صغير، يتم إعطاؤها للأسرى عادة من الساعة السابعة صباحاً وحتّى الساعة العاشرة ليلاً، ويتمّ استخدامها في غرف الأسرى لغايات إعداد المشروبات الساخنة، أو طهي بعض الأطعمة.

البُرش: السرير الذي ينام عليه الأسرى، ويكون مصنوعاً من الحديد ومثبّتاً بأرضيّة الزنزانة. يكون البرش عادةً على شكل طابقين يصل بينهما درج صغير، يُمكّن الأسير الذي ينام في الأعلى من الصعود إلى البرش.

الدوبير: أسير يتمّ اختياره متحدّثاً باسم الأسرى، ويمثّلهم أمام إدارة السجن في المطالبة بالحقوق.

كمكم: إبريق كهربائيّ يتمّ استخدامه لتسخين المياه.

الخولياء/ المردوان: أسير/ة يعمل في خدمة الأسرى الآخرين، طوعيّاً وليس مدفوع الأجر، ويقوم بمهمّات عدّة، أهمّها: تقديم الخدمات لغرف الأسرى، ومثالها: تقديم الطعام للأسرى، وتنظيف الأقسام، وترتيبها.

الكانتينا: المكان الذي يشتري منه الأسرى حاجيّاتهم، سواء أكانت حاجيّات شخصيّة، كالشامبو، والصابون، وبعض الأطعمة الشخصيّة الخاصّة، أم حاجيّات جماعيّة يتمّ شراؤها، وتشاركها مع الجميع، مثل: موادّ التنظيف الجماعيّة، والأطعمة المشتركة، مثل: اللحوم والخضار وغيرها. وعادة ما تُباع هذه المشتريات بأسعار أعلى بكثير من سعر السوق.

العدد: تجري عمليّة عدّ الأسرى ثلاث مرّات خلال اليوم، بحيث يكون العدد الأوّل عادةً خلال ساعات الصباح الباكر؛ أيّ ما بين الساعة الخامسة والنصف صباحاً وحتّى الساعة السابعة صباحاً، في حين يكون العدد الثاني خلال ساعات النهار، والعدد الأخير يجري قبل إغلاق الغرف والأقسام على الأسرى. يكون الهدف من العدد هو التأكّد من تواجد الأسرى جميعاً في الغرف المخصّصة لهم.

دقّ الشبابيك: عمليّة تفتيش تسري يوميّاً مرّتين إلى ثلاث مرّات، يكون الهدف منها فحص شبابيك الغرف، والأبراش، والتأكّد من أنّها مثبّتة جيّداً، ولا يمكن تحريكها بأيّ شكل.

الأشناف: فتحة صغيرة تكون في أبواب الغرف التي يُقيم فيها الأسرى. يتمّ استخدام هذه الفتحة في الغالب لغايات تكبيل الأسرى، أو إدخال بعض وجبات الطعام.

سجن الدامون

سجن الدامون

في 2021/4/4، سرب طيور يعبر سماء السجن كاسراً رتابة الظّلال، فتسجّل نورهان الزيارة في دفترها الذي خصّصته للأحداث النادرة لتفاجَأ بأنّه في التاريخ نفسه من العام المنصرم مرّت الطيور؛ نورهان لا تملك خريطة لمسار الطيور، ولا تستطيع مراقبتها أبعد ممّا ترصده عيناها في حال وقفت على رؤوس أصابعها واشرأبّت برأسها إلى الأعلى، لكن نورهان توثّق هجرة الطيور عاماً تلو عام. إنّها البقعة نفسها، فمن يوثّق تعاسة هذا العالم؟

ليان كايد[1]

يُعدّ سجن الدامون الواقع أعلى جبل الكرمل في مدينة حيفا، أحد سجون الاحتلال القديمة، حيث تمّ بناء هذا السجن زمن الانتداب البريطانيّ، وفي العام 1953 قام وزير الشرطة الإسرائيليّة آنذاك بفتح وتأسيس السجن على شكل مبانٍ، كان الهدف منها أن تُستخدم مخزناً للتبغ وإسطبلاً، وعليه تمّ تصميم المباني في سجن الدامون بشكل خاصّ لتحتفظ بالرطوبة في الداخل، حيث إنّه لم يكن مقصوداً -أبداً- أن يتمّ استخدام هذه المباني مكاناً لإقامة الآدميين.[2]

في العام 2000، وبسبب ظروف الاعتقال المروّعة التي لا ترتقي للعيش الآدميّ قرّرت إدارة مصلحة السجون إغلاق سجن الدامون، ولكنّها أعادت فتحه بعد عام واحد، وجعلت منه مكاناً لسجن العمّال المهاجرين والفلسطينيّين الذين يدخلون الأراضي المحتلّة دون الحصول على التصاريح اللازمة.[3]

وعلى الرغم من وجود هذا السجن منذ أعوام الخمسينيّات من القرن الماضي، إلّا أنّ دولة الاحتلال لم تقم بتغيّرات جوهريّة على السجن من حيث المباني أو التوسعة، أو غيرها على مدار الأعوام الماضية، حيث تُظهر الصور الجوّيّة التالية التي تمّ أخذها لسجن الدامون خلال الأعوام 2011 و2014 عدم وجود أيّ تغيّرات جوهريّة على شكل السجن، حيث لم تتمّ إضافة أيّ مبانٍ جديدة، أو توسعة أقسامه الموجودة؛ الأمر الذي يوضّح طبيعة ومدى سوء البيئة التي يتمّ احتجاز الأسيرات والأطفال فيها، في ظلّ عدم وجود أيّ تحسينات، أو بناء جديد غير الموجود منذ أكثر من 60 عاماً.[4]

---

[1] نصّ بعنوان السجن كنصّ، منشور في مجلة الدراسات الفلسطينيّة، عدد 128، خريف 2021، ص202، متوفّر عبر الرابط الآتي:
https://www.palestine-studies.org/ar/node/1651622.

[2] تقرير انتهاكات حقوق الأسيرات والأسرى في سجون الاحتلال 2019، مؤسّسة الضمير لرعاية الأسير وحقوق الإنسان، ص86. تمّت آخر زيارة بتاريخ 1 تشرين الأوّل 2021، متوفّر عبر الرابط الآتي:
https://www.addameer.org/sites/default/files/publications/mdl-tqryr_lnthkt_2020.pdf.

[3] ورقة حقائق صادرة عن مؤسّسة مانديلا، والمركز الفلسطينيّ للإرشاد ومؤسّسة الضمير لرعاية الأسير وحقوق الإنسان، تمّوز، يوليو 2008.

[4] يُذكر أنّ سجن الدامون يحتوي على قسم مخصّص للأطفال الفلسطينيّين، حيث يتمّ احتجاز الأسرى الأطفال في سجن الدامون، وعوفر، ومجدّو، وعلى الرغم من أنّ قسم الأطفال الموجود في سجن الدامون ليس محطّ بحث هذه الدراسة إلّا أنّ الظروف المعيشيّة للأسرى الأطفال لا تختلف اختلافاً كبيراً عن ظروف الأسيرات، حيث إنّ جميع هذه الأقسام قديمة، وتملؤها الرطوبة، وتفتقر إلى التهوية الكافية والطبيعيّة.

نقل الأسيرات إلى سجن الدامون

شهد العامان 2015 و2016 ارتفاعاً ملحوظاً في أعداد الأسرى والأسيرات على وجه الخصوص، حيث بلغ عدد الفلسطينيّات اللاتي تعرّضن للاعتقال خلال عام 2015 (105) أسيرات، مقابل 164 فلسطينيّة تعرّضت للاعتقال خلال عام 2016. وتسبّب هذا الارتفاع الملحوظ في أعداد الأسيرات إلى قيام دولة الاحتلال بافتتاح قسم في سجن الدامون خاصّ بالأسيرات، وذلك إلى جانب سجن هشارون الذي كان يُستخدم لاحتجاز الأسيرات، حيث شكّلت أعداد الأسيرات خلال هذين العامين الأعلى منذ عمليّة تبادل الأسرى التي أُنجزت بتاريخ 18 تشرين الأوّل من العام 2011 بين حكومة الاحتلال وحركة المقاومة الإسلاميّة (حماس).[5] واستمرّ استخدام سجن الدامون وهشارون بشكل متوازٍ حتّى عام 2018، حيث قرّرت إدارة مصلحة السجون فتح قسم في سجن الدامون، وتخصيصه للأسيرات، وتمّ نقل الأسيرات المتواجدات في أيّ قسم آخر من سجن الدامون إلى هذا القسم، وكذلك نُقلت الأسيرات الموجودات في سجن هشارون إليه، حيث تمّت عمليّة النقل على ثلاث مراحل، انتهت في 2018/11/6.[6]

الظروف العامّة

يفتقر سجن الدامون إلى أبرز مقوّمات الحياة الآدميّة، حيث تشتكي الأسيرات اللاتي عشن في هذا السجن من سوء الغرف التي يُقمْنَ فيها، وسوء التهوية، وانتشار الحشرات والرطوبة، كما أنّ أرضيّة السجن مصنوعة من الباطون؛ ما يجعلها باردة جدّاً في أيّام الشتاء، وحارّة جدّاً في أيّام الصيف، عدا عن أنّ طبيعة الباطون الناعم الموجود في ساحة الفورة تسبّب التزحلق مع المياه.

[5] تقرير انتهاكات حقوق الأسيرات والأسرى في سجون الاحتلال 2016، مؤسّسة الضمير لرعاية الأسير وحقوق الإنسان، ص34. تمّت آخر زيارة بتاريخ 1 تشرين الأوّل 2021، متوفّر عبر الرابط الآتي:
https://www.addameer.org/sites/default/files/publications/tqryr_lnthkt_-2016ilovepdf-compressed.pdf

[6] تقرير انتهاكات حقوق الأسيرات والأسرى في سجون الاحتلال 2018، مؤسّسة الضمير لرعاية الأسير وحقوق الإنسان، ص42. تمّت آخر زيارة بتاريخ 2 تشرين الأوّل 2021، متوفّر عبر الرابط الآتي:
https://www.addameer.org/sites/default/files/publications/tqryr_lnthkt_d2019-9-2_12.pdf.

هذا وتتسبّب الرطوبة بالكثير من الإشكاليّات، منها ما هو متعلّق بالكهرباء فتقول الأسيرة صفاء أبو سنينة في زيارة أجرتها مؤسّسة الضمير لها خلال عام 2019: "مشكلة الكهرباء تشكّل خطراً حقيقيّاً على الأسيرات، حيث انفجرت إحدى بلاطات المطبخ في الغرفة رقم 10، في حين أنّ مدفأة لدى الأسيرات حُرقت في غرفة رقم 2، وهو ما يوضّح طبيعة الخطر الذي من الممكن أن يصيب الأسيرات، وأنا شخصيّاً حُرق لي دفتر عندما انفجر الموقد، وأنّ إحدى الأسيرات الأخريات حُرقت ملابسها".[7]

لطالما حلمت بالذهاب مع أصدقائي إلى مدينة حيفا التي تُعدّ من أجمل المدن الفلسطينيّة، ولطالما حلمت برؤية جبل الكرمل، لكنّني لم أتوقع يوماً أن أزور هذه المدينة، وأن أرى ملامح جمالها وأنا أجلس مكبّلة في بوسطة تنقلني إلى سجن الدامون.

إيلياء أبو حجلة

أقسام السجن والغرف

يحتوي سجن الدامون بشكل أساسيّ على (6) أقسام، تمّ تخصيص قسم منها للأسيرات، وهو القسم رقم (3)، والقسم (4) تمّ تخصيصه للأطفال الفلسطينيّين المعتقلين، أمّا باقي الأقسام فهي مخصّصة للسجناء الجنائيّين، ويوجد في كلّ قسم (13) غرفة. وتختلف المساحة ما بين الغرف، حيث يتّسع بعضها على سبيل المثال لثلاث أسيرات، في حين تتّسع غرف أخرى لثماني أسيرات، حيث تكون مساحة الغرف المخصّصة لثلاث أسيرات 9 أمتار مربّعة تقريباً، والغرف التي تتّسع لخمس أسيرات 15 متراً مربّعاً تقريباً، أمّا الغرف التي تتّسع لثماني أسيرات فمساحتها 24 متراً مربّعاً تقريباً؛ أيّ أنّ المساحة التقريبيّة المخصّصة لكلّ أسيرة هي 3 أمتار مربّعة. ويتحدّد عدد الأسيرات في كلّ غرفة بعدد الأسرّة الموجودة فيها، حيث لا يجوز أن يتجاوز عدد الأسيرات في الغرف عدد الأسرّة الموجودة. وعلى مدار الأعوام انتزعت الأسيرات حقّهن في اختيار الغرف التي يُقمنَ بها، حيث حاولت إدارة سجن الدامون فور نقل الأسيرات إليه تحديد آليّة توزيع الأسيرات على الغرف، إلّا أنّ الأسيرات آنذاك رفضن الدخول إلى الغرف، وقُمن بالاعتصام في ساحة الفورة إلى أن رضخت الإدارة إلى طلبهنّ باختيار توزيع الأسيرات على الغرف.

[7] وتجدر الإشارة إلى أنّ إصرار الأسيرات، وإلحاحهنّ المستمرّ لإصلاح الكهرباء في السجن تكلّل في الأشهر الأخيرة من عام 2019 بالنجاح، حيث استجابت إدارة السجن لهنّ، وقامت بإصلاح مشكلة الكهرباء. انظر تقرير انتهاكات حقوق الأسيرات والأسرى في سجون الاحتلال 2019، مؤسّسة الضمير لرعاية الأسير وحقوق الإنسان، ص88. تمّت آخر زيارة بتاريخ 4 تشرين الأوّل 2021، متوفّر عبر الرابط الآتي:
https://www.addameer.org/sites/default/files/publications/mdl-tqryr_lnthkt_2020.pdf.

صورة التقطها أحد أفراد العائلات خلال زيارة سجن الدامون (عائلة الأسيرة فدوى حمادة)

جولة في غرفة رقم (8)

تتّسع غرفة رقم (8) إلى (8) أسيرات، وتُعدّ هذه الغرفة من الغرف كبيرة الحجم نسبيّاً مقارنةً بالغرف الأخرى، وتبلغ مساحتها تقريباً 4×5 متراً مربّعاً، وتُطلق الأسيرات على هذه الغرفة اسم غرفة الاستقبال؛ لأنّها تُستخدم بالغالب لاستقبال الأسيرات الجُدد. وتحتوي الغرفة بشكل أساسيّ على (8) أسرّة.[8] ويوجد بجانب كلّ سرير وحدة خزائن، وهي عبارة عن رفّين صغيرين –مربّعي الشكل- لكلّ أسيرة لا يتّسع الواحد منهما لأكثر من (6) قطع ملابس، وتحتوي الغرفة على زاوية صغيرة تُطلق عليها الأسيرات اسم المطبخ، وهي عبارة عن مغسلة صغيرة يتمّ استخدامها لغايات غسل الصحون، واليدين، أو بعض الموادّ الغذائيّة.

[8] تُصنَع الأسرّة من الحديد، بحيث تكون على شكل طابقين، ويتم تثبيتها في الأرض والجدران، ويحتوي كلّ برش على قاعدة مصنوعة من صفيحة حديديّة، ومع كثرة استخدامها تصدأ، وتصبح تصدر أصواتاً مزعجة وغير مريحة، وعلى الرغم من أنّ هذه الأسرّة تأتي على طابقين إلّا أنّها لا تحتوي على حماية، وتقول صفاء أبو سنينة، يتسبّب عدم وجود حماية بسقوط الأسيرات أحياناً، فأيّة حركة للأسيرة قد تتسبّب في سقوطها، وهناك عدد من الأسيرات اللاتي سقطن عن هذه الأسرّة وتعرّضن لإصابات بسبب عدم وجود حماية.

وكذلك تحتوي الغرفة على حمّام صغير مساحته تقريباً 1×1.5 متر مربّع، له باب خشبيّ، وفيه قفل صغير على شكل "سحّاب"، ولا يوجد فيه سوى مقعد الحمّام، وفي الجزء العلويّ يوجد "سدّة"، وهي رفّ باطون في أعلى سقف غرفة الحمّام، وتضع الأسيرات على هذا الرفّ أيّ موادّ تنظيف، أو مناديل للوجه، أو اليدين، أو الحمّام. ويوجد في الحمّام أيضاً شبّاك مرتفع عن الأرض تقريباً 1.5 متر مساحته تقريباً 30×40 سم مربّع، ويوجد على هذا الشبّاك قطع حديد إسطوانيّة الشكل، وشبك حديد على شكل مربّعات صغيرة، ويطلّ هذا الشبّاك على ساحة الفورة، إلّا أنّه وبسبب إحاطة ساحة الفورة بالجدران، فإنّ هذا الشبّاك لا يقوم بالمَهمّة الأساسيّة له وهي تهوية الحمّام، حيث أشارت الأسيرات إلى أنّ هذا الحمّام لا يُدخل في الصيف هواءً بارداً، إلّا أنّه خلال فترة الشتاء يقوم بإدخال هواء بارد جدّاً، كما أنّه يساعد في الكثير من الأحيان في دخول الحشرات والصراصير؛ وذلك لأنّه مُطِلّ على ساحة الفورة التي يوجد فيها مسرب لمياه الصرف الصحّيّ.

ولا تشعر الأسيرات بأيّة خصوصيّة خلال استخدامهنّ الحمام؛ نظراً لوجوده في الغرفة التي يُقمن فيها. فتقول إيلياء أبو حجلة:[9] "لا يوجد أيّ نوع من الخصوصيّة في الحمّام الموجود في الغرفة، حيث إنّ الشبّاك الموجود فيه لا يقوم بإدخال الهواء، وبالتالي لا يساعد في التهوية، وينتقل أيّ صوت داخل الحمّام إلى الغرفة؛ الأمر الذي يدفع الأسيرات في الكثير من الأحيان إلى رفع صوت المذياع أو التلفاز أثناء استخدامهنّ الحمّام، حتّى يشعرن بنوع من الخصوصيّة".

أمّا عن باب غرفة رقم (8)، فهو باب حديديّ، يحتوي على شبّاك صغير على مستوى النظر مغطّى بأسطوانات من الحديد بشكل طوليّ، وشبك حديد على شكل مربّعات، ويبقى هذا الشبّاك مفتوحاً طوال السنة، إلّا أنّه خلال فصل الشتاء يتسبّب بدخول الهواء البارد إلى الغرفة؛ الأمر الذي دفع الأسيرات إلى محاولة إغلاقه باستخدام بعض الأوشحة القديمة، إلّا أنّ إدارة السجن كانت دائماً ترفض هذه الحركة، وتطلب من الأسيرات إزالة هذه الأغطية؛ بحجّة أنّ وجود مثل هذه الأغطية من شأنه أن يعرقل مهمّة السجّانات في التأكّد من وجود الأسيرات داخل الغرف، حيث تقوم السجّانات خلال ساعات الليل -كلّ نصف ساعة تقريباً- بتفقّد الغرف، والتأكّد من تواجد جميع الأسيرات فيها، وفي الجزء السفليّ من الباب

[9] مقابلة أُجريت مع إيلياء أبو حجلة بتاريخ 2021/7/7 لغايات هذه الدراسة. يُذكر أنّ إيلياء أبو حجلة اعتُقلت بتاريخ 2020/7/1، وقضت حكماً مدّته 11 شهر.

يوجد فتحة صغيرة مستطيلة الشكل تُسمّى "الأشناف"، ويتمّ استخدام هذه الفتحة عادةً لإدخال الطعام. ويرتفع باب الغرفة عن الأرض قليلاً؛ الأمر الذي يزيد من إشكاليّة الأسيرات بخصوص دخول الحشرات والقوارض، فما لا يدخل عن طريق شبّاك الحمّام الآنف ذكره، يدخل عن طريق هذه الفتحة الموجودة أسفل باب الغرفة. وتحاول الأسيرات في الكثير من الأحيان التغلّب على هذه الإشكاليّة عن طريق استخدام قطع الملابس القديمة، أو المناشف لغايات إغلاق الفتحة الموجودة أسفل الباب. ويقع بجانب الباب في كلّ غرفة من غرف السجن شبّاك صغير مساحته التقريبيّة متر× متر مربّع، وهذا الشبّاك عليه أسطوانات من الحديد، وشبك على شكل مربّعات صغيرة.

ويرتفع باب الغرفة عن الأرض قليلاً؛ الأمر الذي يزيد من إشكاليّة الأسيرات بخصوص دخول الحشرات والقوارض، فما لا يدخل عن طريق شبّاك الحمّام الآنف ذكره، يدخل عن طريق هذه الفتحة الموجودة أسفل باب الغرفة. وتحاول الأسيرات في الكثير من الأحيان التغلّب على هذه الإشكاليّة عن طريق استخدام قطع الملابس القديمة، أو المناشف لغايات إغلاق الفتحة الموجودة أسفل الباب. ويقع بجانب الباب في كلّ غرفة من غرف السجن شبّاك صغير مساحته التقريبيّة متر× متر مربّع، وهذا الشبّاك عليه أسطوانات من الحديد، وشبك على شكل مربّعات صغيرة.

وعلى الرغم من وجود إنارة في وسط الغرفة إلّا أنّ هذه الإنارة ضعيفة بسبب ارتفاع سقف الغرف؛ الأمر الذي يدفع الأسيرات إلى شراء عدد من وحدات الإنارة الصغيرة -مصابيح- التي يتمّ عادة تعليقها بجانب الأسرّة، بحيث تساعد الأسيرات عند القراءة أو الكتابة خاصّة خلال ساعات الليل. ويتمّ شراء هذه المصابيح من كانتينا السجن على حساب الأسيرات. وتحتوي الغرفة أيضاً على جهاز تلفاز تبثّ من خلاله 13 محطّة معظمها محطّات عبريّة، أمّا القنوات العربيّة فهي: MTV، MBC Action، MBC.[10]

[10] يُذكر أنّ غرف الأسيرات على الرغم من الاختلاف في أحجامها إلّا أنّها جميعاً تحتوي على القطع المذكورة أعلاه ذاتها (أسرّة، وخزائن صغيرة، وتلفاز...).

المرافق الإضافيّة

يوجد في قسم الأسيرات عدد من المرافق الإضافيّة، وهذه تشمل: الكانتينا، والمطبخ، والحمّامات (الدوشات)، الممرّات، والمكتبة.

ونتناول هذه المرافق على الشكل الآتي:

الكانتينا

تبلغ مساحة غرفة الكانتينا 4×3 متراً مربّعاً تقريباً، ولا تحتوي هذه الغرفة سوى مكيّف، وعدد من الرفوف التي يتمّ استخدامها لغايات وضع الموادّ التي يتمّ شراؤها من قِبل الأسيرات، أو الأغراض العامّة التي تقوم لجنة الكانتينا بشرائها، ويجوز لجميع الأسيرات استخدامها، مثل: مسحوق ومعطّر الغسيل، والزيت، وصابون الجلي، وغيرها من الموادّ. ويتمّ كذلك وضع الموادّ الغذائيّة التي تصل إلى الأسيرات من إدارة السجن، مثل: أكياس الرز والشعيريّة، والسميد، وعلب التونا وغيرها. ولا يقتصر استخدام غرفة الكانتينا لدى الأسيرات على كونها مخزناً للموادّ الغذائيّة، حيث تلجأ العديد من الأسيرات إلى استخدام هذه الغرفة مكاناً للجلوس أو الصلاة، أو قراءة القرآن خلال أيّام الصيف الحارّة؛ وذلك بسبب وجود مكيّف فيها يساعد على تبريد الغرفة. يُذكر أنّ هناك غرفة كانتينا أخرى داخل سجن الدامون، وهي كانتينا السجن العامّة، وهذه موجودة خارج قسم الأسيرات، وتشبه هذه الكانتينا المقاصف، حيث تحتوي على شبّاك ويتواجد خلفه سجين مدنيّ يتكلّم اللغة العربيّة، حيث تقوم الأسيرة المسؤولة عن شراء الكانتينا للأسيرات بإبلاغه بالموادّ التي تريد شراءها وكمّيّاتها، ويقوم هذا السجين بتدوين الطلب عبر جهاز حاسوب، ومن ثمّ تتمّ تعبئة المشتريات كافّة في عربة كبيرة تُنقل إلى قسم الأسيرات.

المطبخ

تبلغ مساحة غرفة المطبخ تقريباً 4×4 متراً مربّعاً، ويحتوي المطبخ بشكل أساسيّ على ثلّاجتين، تشبه ثلّاجات عرض البوظة، ويتمّ وضع أغلب الموادّ الغذائيّة التي تحتاج إلى التبريد في هذه الثلّاجات، مثل: الخضراوات المثلّجة، والحمّص، والذرة، والألبان والأجبان، ويحتوي المطبخ أيضاً على ثلّاجتين - الحجم المعتاد كالثلّاجات الموجودة في المنازل-، ويتمّ استخدام هذه الثلّاجات للغرف بحيث تُمنح كلّ غرفة رفّاً من الرفوف الموجودة فيها؛ لكي تقوم كلّ أسيرة بوضع أيّ أغراض إضافيّة قامت بشرائها في الرفّ المخصّص لغرفتها. ولا تدخل الأسيرات إلى غرفة الكانتينا دون دخول "الخولياء" معها. هذا ويحتوي المطبخ أيضاً على مجلى لغايات تنظيف وجلي أواني الطهي، و"بلاطتين" كبيرتين بواقع رأسَي غاز لكلّ بلاطة، أو في بعض الأحيان يتوافر فيها بلاطة واحدة كبيرة تحتوي على ثلاثة رؤوس غاز.

المكتبة

تبلغ مساحة غرفة المكتبة تقريباً 5×5 متراً، وتحتوي الغرفة على مكيّف للهواء، وخزانتين صغيرتين يتم استخدامها لغايات وضع أكبر قدر ممكن من الكتب، وتحتوي الغرفة أيضاً على طاولة ومقعد مع طاولة صغيرة أشبه بمقاعد الطلاب في المدارس. وتستخدم الأسيرات هذه الغرفة في الغالب لعدّة أغراض أخرى غير استخدامها للقراءة، حيث تجلس الأسيرات فيها ليبتعدن عن الحرّ خلال فترة الصيف، أو للدراسة، وكثيراً ما تقوم الأسيرات فيها بأنشطة، مثل: قيامهنّ بلعب الرياضة، والقيام بتجهيز زينة شهر رمضان، أو زينة الأعياد. وتتواجد في الغرفة أيضاً لجنة المكتبة، وهذه اللجنة هي التي تتولّى عمليّة إعارة الكتب، وإرجاعها، وترتيبها بحسب المواضيع.

الفورة

"في بداية فترة اعتقالي، كنت أقف أنا والأسيرات الجدد قبل بدء الفورة على الأبواب ننتظر الخروج إلى الساحة، لأنّ أُفقنا آنذاك كان مقتصراً على الزنزانة، وأصبحت مساحة الفورة هي المساحة التي نشعر فيها وكأنّنا خرجنا. كنّا في البداية ننظر إلى كلّ شيء حولنا باستغراب واندهاش ونشعر وكأنه "ممتاز أنّنا نرى السماء، ممتاز أنّنا نستنشق الهواء" ولكن مع مرور الأيّام أصبحنا نشعر بحالة من الكسل والخمول للخروج من الغرف إلى الفورة، لأنّ أُفقنا أصبح واضحاً ومعروفاً، فالمساحة ما بين الغرف والفورة ليست أفقاً حقيقيّاً، وأدركنا أنّ السماء التي نراها لا تشبه السماء الحقيقيّة لكثرة القضبان المحيطة بها، كلّ ما أراه حولي هو جدران، قضبان، ونظام مراقبة".

إيلياء أبو حجلة

تقع ساحة الفورة المخصّصة للأسيرات في وسط قسمهنّ، بحيث تتوزّع الغرف على جوانب هذه الساحة - تجدر الإشارة إلى أنّ هناك ممرّاً يفصل ما بين غرف الأسيرات والساحة، حيث تستخدم الأسيرات هذا الممرّ للخروج إلى الساحة-[11] وتبلغ مساحة الفورة تقريباً 8×7 متراً مربّعاً، وهي مسقوفة بشبكين من الحديد على شكل مربّعات. وتضع إدارة السجن كاميرات للمراقبة تكشف كلّ زاوية من زوايا الساحة. وتنتهك هذه الكاميرات خصوصيّة الأسيرات بشكل كبير، وتُحرم عدداً كبيراً منهنّ من تعريض أجسادهنّ أو شعرهنّ للشمس، بحكم ارتدائهنّ الحجاب.

وأشارت الأسيرات في هذا السياق إلى أنّه قد تبدو مساحة الفورة وللوهلة الأولى للناظر على أنّها مساحة كافية ومتّسعة، ولكن عندما تخرج أكثر من 35 أسيرة إلى هذه المساحة، يصبح المكان ضيّقاً جدّاً، وكثيراً ما ترتطم الأسيرات ببعضهنّ البعض أثناء الحركة في الفورة بسبب ضيق المساحة؛ الأمر الذي كان يستلزم منهنّ بشكل دائم محاولة تنظيم حركتهنّ على شكل دوائر مختلفة الأحجام حتى يتمكّنّ جميعاً من المشي في آنٍ واحد، إلّا أنّ وجود بعض القضبان الحديديّة[12] في وسط الفورة كان يشكّل عائقاً.

وتفتح إدارة السجن الفورة أمام الأسيرات خلال ساعات محدّدة، حيث يتمّ فتحها من الساعة السابعة وحتّى الساعة الثامنة صباحاً، فهذه الساعة هي الساعة المخصّصة للرياضة، إلّا أنّ طبيعة المساحة الموجودة في الفورة، والكاميرات، ووجود سجّانين للمراقبة تحرم الكثير من الأسيرات من ممارسة الرياضة؛ لعدم شعورهنّ بالخصوصيّة اللازمة لذلك. ولا يرضخ الأسرى والأسيرات في سجون الاحتلال في العادة إلى مثل هذه الممارسات، حيث يبتكر الأسرى سبلاً أخرى لانتزاع حقوقهم، فعلى سبيل المثال قامت الأسيرات بإنشاء نادي "حلوة للحلوات"، وهو نادٍ رياضيّ تمّ إنشاؤه بشكل أساسيّ في شهر كانون الأوّل 2020، والمدرّبة الرئيسيّة فيه هي الأسيرة حلوة حمامرة، وتكون حصص الرياضة في هذا النادي صباح أيّام السبت والثلاثاء والخميس، حيث تقوم الأسيرات باستخدام غرفة المكتبة مكاناً للعب الرياضة بدلاً من الساحة؛ بسبب وجود كاميرات المراقبة في الساحة.

إضافة إلى الفترة الصباحيّة تفتح الفورة لساعات عدّة خلال النهار تكون على الشكل الآتي: من الساعة التاسعة وحتّى العاشرة صباحاً، ومن الساعة الواحدة ظهراً حتّى الثانية والنصف، وتكون الفورة الأخيرة من الساعة الرابعة وحتّى الساعة السادسة والنصف مساء.

[11] هذا الممرّ مسقوف بقطع من الزينكو، عرضه لا يتجاوز متراً ونصف المتر، وهو ممرّ يحيط بكلّ الغرف، ويجب على الأسيرات المشي عبر هذا الممرّ للخروج إلى الفورة، حيث يوجد أبواب عدّة مطلّة على الفورة من هذا الممرّ، وبالتالي تسير الأسيرات بالممرّ، ويخرجن إلى الفورة عبر أيّ من هذه الأبواب.

[12] يوجد في وسط ساحة الفورة لدى الأسيرات بعض قضبان الحديد التي تمّ وضعها لغايات تمكين الأسيرات من ممارسة الجمباز، إلّا أنّ هذه القضبان وكما تقول الأسيرات لا ترتقي للاستخدام.

صورة لاشتراك الأسيرة إيلياء أبو حجلة في نادي الرياضة في سجن الدامون

وتحيط بالفورة من كلّ الجهات، أسوار عالية يكون ارتفاعها تقريباً 5 أمتار، ومن أكثر من عامين تعاني الأسيرات من ساحة الفورة حيث إنّ الساحة ملساء إلى درجة أنّها تتسبّب بتزحلق الأسيرات أثناء المشي، خاصّة في حال كانت الأرض رطبة. فتقول ليان ناصر:[13] " تُعرّض هذه الإشكاليّة الأسيرات إلى احتماليّة السقوط والإصابة، خاصّة أثناء انتقالهنّ من الدوشّات بعد الاستحمام إلى الغرف، حيث تكون أحذيتهنّ مبلّلة، وبالتالي هناك احتمال كبير لسقوط إحدى الأسيرات وإصابتها. وعلى الرغم من أنّ إدارة السجن تقوم بين الفينة والأخرى بوضع مادّة خشنة على الأرض بهدف تقليل احتماليّة التزحلق، إلّا أنّ الأسيرات يؤكّدنَ أنّ هذه المادّة سرعان ما تُخلَع عن الأرض، وبالتالي فإنّها ليست حلّاً جذريّاً للمشكلة.

[13] مقابلة أجريت مع ليان ناصر بتاريخ 2021/10/5. يُذكر أنّ ليان ناصر اعتقلت بتاريخ 2021/7/7، وقضت 50 يوماً في السجن. أيّام الاعتقال كان الجزء الأكبر منها في سجن الدامون.

كانت الأسيرة حلوة حمامرة تحاول إلزامنا بحضور الحصص الرياضيّة، وتفرض عقوبة على مَن لا تقوم بالالتزام، ففي حال تغيّبت أسيرة عن 3 حصص متتالية يتمّ فصلها من النادي، وكان لكلّ أسيرة فينا بطاقة عضويّة في النادي مصنوعة من بعض علب الكرتون التي تصلنا، ولا يتمّ الحصول على هذه البطاقة إلا بعد المشاركة في 5 حصص متتالية.

إيلياء أبو حجلة

الحمّامات (الدوشّات)

تعاني الأسيرات منذ نقلهنّ إلى سجن الدامون من وجود دوشّات الاستحمام خارج غرفهنّ، حيث توجد الدوشّات في غرفة في نهاية ساحة الفورة، وهي 8 دوشّات، بواقع أربعة على الجهة اليمنى وأربعة على الجهة اليسرى. وتفتقر هذه الدوشّات إلى وجود أبواب، حيث إنّها مغطّاة بستارة، ولا يفصل ما بين الحمام والآخر سوى نصف حائط صغير، ويملأ الصدأ هذه الدوشّات والمواسير الموجودة فيها. وتشترك جميع الدوشّات بجورة للصرف الصحّيّ موجودة في وسط الغرفة، ويخرج منها في الكثير من الأحيان حشرات وقوارض. هذا وأشارت الأسيرات في هذا السياق إلى أنّ نصف الدوشّات الموجودة لا تعمل، وبالتالي فإنّ وجودها وعدمه واحد. أمّا فيما يتعلّق بالدوشّات التي تعمل فإنّ قوّة المياه فيها تعتمد على عدد الأسيرات اللاتي يقمن بالاستحمام، فعلى سبيل المثال في حال قيام أسيرتين بالاستحمام في الوقت نفسه، تنقطع المياه عن باقي الدوشّات؛ الأمر الذي يسبّب إشكاليّة حقيقيّة للأسيرات، وحاجة دائمة للتنسيق ما بينهنّ على مواعيد الاستحمام، خاصّة في ظلّ محدوديّة ساعات الفورة.

وتحرم قضيّة تواجد الدوشّات خارج الغرف الأسيرات من خصوصيّة الاستحمام في أيّ وقت يحتجن إليه، بحكم أنّ الاستحمام يكون مقتصراً على ساعات الفورة، كما أنّ انتقال الأسيرات خلال ساعات الفورة من غرفهنّ إلى منطقة الدوشّات وهن يحملن ملابسهنّ، ومستلزمات الاستحمام يُشعر الأسيرات وكأنّهنّ مراقَبات، وفي كثير من الأحيان يربك صوت السجّانين القريب من الدوشّات الأسيرات، حيث يمكنهنّ سماع أصوات السجّانين أثناء استخدام الدوشّات؛ الأمر الذي يتسبّب في إرباكهنّ، هذا ومن جهة أخرى، تعمد إدارة السجن إلى استخدام الدوشات ورقةً للضغط على الأسيرات عند حصول أيّة خطوات تصعيديّة، فعند قيام الأسيرات بهذه الخطوات، أو عند إغلاق الإدارة القسم تُحرم الأسيرات من الاستحمام لأيّام عدّة، فعلى سبيل المثال في شهر 11 من العام 2020، وعقب بعض الخطوات التصعيديّة من قبل الأسيرات قرّرت إدارة السجن إغلاق القسم على الأسيرات لمدّة 3 أيّام؛ الأمر الذي حرمهنّ من الاستحمام، وفيما بعد قامت الإدارة باستغلال هذه القضيّة للضغط عليهنّ، فمنحت الأسيرات الموجودات في كلّ أربع غرف ساعة واحدة لغايات الاستحمام وكان هذا الأمر غير معقول، فكيف من الممكن لـ 15 أسيرة أن يستحممنَ في ساعة واحدة، في ظلّ إمكانيّة استخدام حمّامين فقط؟

الحياة الاجتماعيّة في غرف السجن

ولا تقتصر هذه التفاصيل على حياة الأسيرات اليوميّة فقط، حيث تقوم الأسيرات في كلّ مناسبة أو عيد بعمل أجواء تتناسب مع ذلك، فعلى سبيل المثال يقمن خلال فترة شهر رمضان باستخدام الكراتين الموجودة لديهنّ، وقصّها على شكل هلال وفوانيس وتعليقها في الغرف، وخلال فترة عيد الميلاد يقمن بصنع شجرة الميلاد من خلال الجرائد الموجودة لديهنّ، ويتمّ استخدام أغطية علب التونا وغيرها زينةً للشجرة بعد تغيير شكلها، وتغطيتها ببعض الأقمشة الموجودة لدى الأسيرات، ويتمّ استخدام علب المعلّبات لوضع قطع الشكولاته.

> السجن هو رفقة، ما عدا ذلك هو موت مع وقف التنفيذ.
>
> لمى خاطر

وعلى الرغم من هذه الأجواء التي تخلقها الأسيرات، إلّا أنّ طبيعة الحياة في السجن تفرض على الأسيرات أيضاً أن يضعن بعض القواعد العامّة للتعامل والعيش، وذلك لمحاولة تفادي أيّ إشكاليّات ناجمة عن اختلاف في الثقافات أو العادات وغيرها، فتضع الأسيرات قواعد تتعلّق بساعات إغلاق التلفاز ليلاً، وساعات إطفاء الأنوار ليلاً، وأهمّيّة ترتيب الغرف بشكل دائم والمحافظة على نظافتها.

ألم مُؤجّل...

تتّصل الأسيرات مع العالم الخارجيّ من خلال وسائل عدّة، حيث أشارت شذى حسن إلى أبرز هذه الوسائل، وهي: زيارات العائلات التي تتمّ بمعدل مرّة كلّ شهر، إلّا أنّها تُعدّ إحدى الوسائل التي تستغلّها دولة الاحتلال للضغط على الأسيرات، حيث تسارع دولة الاحتلال في الكثير من الأحيان إلى وقف زيارات العائلات بحجج أمنيّة، أو لإجراءات إداريّة، فعلى سبيل المثال أوقفت إدارة مصلحة السجون زيارات العائلات إلى السجون خلال فترة جائحة كورونا؛ الأمر الذي تسبّب بانقطاع الأسيرات عن العالم الخارجيّ لأشهر عدّة. أمّا ثاني هذه الطرق فهي زيارات المحامين التي يتمّ استغلالها بشكل أساسيّ لغايات إطلاع المعتقلين والمعتقلات على أيّ تطورات في وضعهم القانونيّ، وتوثيق أيّ مستجدّات في السجون، وكذلك لنقل أيّ أخبار من الأسيرات إلى العائلات أو بالعكس.

وتكمل شذى الإشارة إلى وسائل أخرى تلجأ إليها الأسيرات للاتّصال مع العالم الخارجيّ، كنقل الرسائل إلى العائلات عبر الأسيرات اللاتي يحين موعد الإفراج عنهنّ، حيث يتمّ تزويدهنّ بمعلومات الاتّصال مع العائلات والرسائل، وتقوم الأسيرة المحرّرة بدورها بالاتّصال بالعائلات فور الإفراج عنها، ونقل الرسائل إليهم. وكذلك تتّصل الأسيرات والأسرى بشكل عامّ مع العالم الخارجيّ من خلال البرامج الإذاعيّة المحليّة والخاصّة بالأسرى، حيث تصبح هذه البرامج ذات أهمّيّة خاصّة جدّاً خلال فترات منع الأسيرات من الزيارة، وانقطاعهنّ عن العالم الخارجيّ،[14] حيث تُخصّص العديد من المحطّات الإذاعيّة برامج تتمكّن فيها عائلات الأسرى والأسيرات من الاتّصال وإبلاغ الأسرى تحيّاتهم، وإطلاعهم على أيّ مستجدّات. وتتابع الأسيرات هذه البرامج بشغف، حيث يستمعن لأجهزة الراديو الصغيرة الموجودة لديهنّ، وينتظرن سماع أيّ خبر من عائلاتهنّ، إلّا أنّ الأسيرات في الكثير من الأحيان يعانين من الحاجة المستمرّة إلى إعادة ضبط الراديو حتى يتمكنّ من سماع الإذاعة. وفي هذا السياق تقول ليان كايد: "كانت البرامج الإذاعيّة من أكثر البرامج متابعة من قبل الأسيرات، حيث إنّنا كنّا ننتظر موعد البرنامج، ونحرص على عدم وضع أيّة فعاليّات داخليّة في الوقت ذاته. كنّا نجلس في حالة ترقُّب لسماع أيّ خبر من الأهل، سواء أكان خبراً إيجابيّاً أم سلبيّاً، حيث إنّها كانت سبيلنا للاتّصال مع العالم الخارجيّ".

وتعيش الأسيرات من خلال هذه البرامج لحظات سعادة، إلّا أنّها في العديد من الأحيان تعيش لحظات قاسية جدّاً، كلحظات نقل نبأ وفاة أحد الأقارب، حيث تلقّت خلال عام 2021 الأسيرة خالدة جرّار نبأ وفاة ابنتها سهى عبر إحدى المحطّات الإذاعيّة أو التلفزيّة، وذلك قبل أن يتمكّن محاميها من زيارتها ونقل الخبر إليها.[15] وكذلك الحال كان بالنسبة لليان كايد التي تلقّت نبأ استشهاد أحد أقربائها عبر الإذاعة. تقول كايد: «سمعت صوت والدي عبر الإذاعة، وكان هناك تشويش عالٍ في ذلك اليوم؛ لذلك لم أسمع كلّ ما قاله والدي. فهمت من كلامه أنّ ابن خالتي استشهد، ولكنّني انتظرت 7 ساعات حتى علمت من هو. بقيت طوال تلك الساعات أفكّر مَن من أبناء خالاتي الذي استشهد. يومها، شعرت بأنّني فقدتهم جميعاً، وأنّني عاجزة عن تقديم أيّ شيء. انتابني شعور بالغضب والحزن لأنّني لم أكن متواجدة».

[14] قسم الحاج، أربع أسيرات أربع محرّرات، مجلّة الدراسات الفلسطينيّة، عدد 128، خريف 2021، ص68-69. متوفّر عبر الرابط الآتي: https://www.palestine-studies.org/sites/default/files/mdf-articles/073-060.pdf.

[15] ممّا تجدر الإشارة إليه هو أنّ دولة الاحتلال رفضت المحاولات القانونيّة كافّة التي قام بها طاقم مؤسّسة الضمير، إضافة إلى عدد من المؤسّسات والتي كان هدفها محاولة الضغط على دولة الاحتلال لإطلاق سراح جرّار لتتمكن من وداع ابنتها، علماً بأنّ جرّار كانت قد أمضت آنذاك ما يقارب العامين في الاعتقال، ولم يكن متبقّياً على موعد الإفراج عنها سوى شهرين.

الفقد هو خوفنا الدائم من موت أحبّتنا ونحن في الأسر، ولذا فإنّ تحليلنا الدائم هو لإيقاع أصوات الأحبّة عبر الإذاعة وكلماتهم التي نعدّها ألغازاً. والفقد الحقيقيّ هو أعزّ أحبائك: أمّك؛ أبوك؛ أختك؛ أخوك؛ ابنك؛ ابنتك الشابّة التي ستفجع الدنيا والوطن برحيلها المفاجئ.. "وستودّعها بوردة".

ليان كايد[16]

عوائق أمام الحياة اليوميّة

تدخل إدارة السجون إلى غرف الأسيرات يوميّاً أكثر من 5 مرّات، سواء أكان ذلك بهدف العدد، أم دقّ الشبابيك أم غيره، حيث يدخل السجّانون إلى الغرف -على الأقلّ- ثلاث مرّات يوميّاً للعدد، ويكون ذلك تقريباً عند الساعة السادسة صباحاً، والثالثة عصراً، والسادسة والنصف مساءً، في حين أنّ دقّ الشبابيك يتم عادةً مرّتين: الأولى في تمام الساعة الثامنة صباحاً، والثانية عند الساعة الثالثة عصراً. ولا يمكن القول إنّ هذه المرّات هي الوحيدة التي تدخل فيها الإدارة إلى غرف الأسيرات، حيث تقوم الإدارة في الكثير من الأحيان بالدخول إلى الغرف بحجّة عدد إضافيّ، أو تفتيش فجائيّ، أو غيرها من الأسباب.

وتتعرّض غرف الأسيرات بشكل عام إلى نوعين من التفتيشات: الأوّل وهو التفتيشات الدوريّة التي تتمّ شهريّاً، وتُنَفّذ من قبل وحدات خاصّة تتعمّد خلال عمليّة التفتيش العبث بمقتنيات الأسيرات وتخريبها، ومصادرة بعض أغراضهنّ الخاصّة، مثل: دفاتر، أو كتب غير مسموح بها.

والنوع الثاني من التفتيشات هو التفتيشات المفاجئة، وكثيراً ما تتمّ هذه خلال ساعات الليل؛ بهدف إفزاع الأسيرات والتنغيص عليهنّ خاصّة وأنّه يتمّ إخراج الأسيرات من غرفهنّ طوال فترة تفتيش الغرف. عدا عن ذلك، فإنّ العديد من الأسيرات يشعرن بانتهاك خصوصيّتهنّ خلال هذه التفتيشات، ويتجسّد ذلك في: المساس بأغراضهنّ، وتفتيش ملابسهنّ بما فيها ملابسهنّ الداخليّة.[17]

وتنغّص مثل هذه الممارسات حياة الأسيرات في سجن الدامون، حيث تشير الأسيرات إلى أنّه عندما يتمّ

[16] نصّ بعنوان السجن كنصّ، منشور في مجلة الدراسات الفلسطينيّة، مرجع سبق ذكره.

[17] يُذكر أنّه خلال التفتيشات التي تتمّ لغرف الأسيرات، تتمّ مصادرة العديد من المقتنيات من الأسيرات وهذه تشمل الكتب، والدفاتر. هناك أشياء تتمّ مصادرتها أثناء التفتيش تصعّب الحياة، مثلا تستخدم الأسيرات غطاة العلب الحديديّة بدل السكاكين في تحضير الطعام، وحسب الإدارة ممنوع أن يكون لدى الغرفة الواحدة سوى واحدة من هذه الأغطية، وعادة بعد فترة تفقد قدرتها على التقطيع، لذلك يدخلون ويصادرونها جميعها.

النداء على الأسيرات لغايات العدد، أو التفتيش وتكون الأسيرات في جلسة ثقافيّة، أو تعليميّة تُضطرّ الأسيرات فوراً إلى فضّ هذه الجلسة، وتذهب كلّ أسيرة لعمل شيء مختلف عن الأخرى، وذلك حتّى لا تثير الريبة لدى السجّانين بأنّ هناك أيّ نشاط تعليميّ، أو ثقافيّ داخل السجن، وتشكّل مثل هذه التفتيشات المفاجئة عقبة أمام استقرار حياة الأسيرات اليوميّة، حيث يتمّ إخراج الأسيرات من الغرف ولا يتمّ إعادتهنّ إليها إلّا بعد مغادرة السجّانين.

فجأة بدّد شرودي صوت عالٍ عمّ القسم مرّة أُخرى يقول: "سفيراه بنوتسفيراااه.." ثم الصوت نفسه: "عددددد عددددد".. وصوت آخر من داخل القسم: "يااااا بناااااات عدد وفي زلمة يا بناااات دخل العدد".. بالبداية لم أفهم ماذا يحدث وماذا يجب أن أفعل، فقالت لي أسيرة من اللواتي كنّ معي في الغرفة: "هسا دخل العدد ولازم نوقف عشان يعدّونا".. وفعلاً ارتدت الأسيرات ملابس الصلاة وقطعن غداءهن، ووقفنا جميعاً ننتظر العدد. فُتح الباب ودخلت سجّانة أظن أنّ عمرها لا يتجاوز الـ 19 عاماً، وخلفها سجّان يُمسك بيد الباب. دخلت ونظرت إلينا، ثم عدّت بإصبعها "1 2 3 4 5 6"، وأغلقت الباب خلفها بقوّة، فرنّ صوته المزعج في أرجاء الغرفة.

شذى حسن[18]

لا يمكن لنا أن نعتاد على الأسر

تقضي بعض الأسيرات فترات تتراوح ما بين الأيّام وما بين السنوات في زنازين الاحتلال، وعلى الرغم من الاختلاف في هذه المُدد، إلّا أنّ أغلب -إن لم يكن جميع- الأسيرات أشَرْن إلى أنّ قضاء وقت أطول في السجن لا يجعلهنّ قادرات على تجاوز فكرة الحرمان من الحرّيّة.

روت إحدى الأسيرات لمؤسّسة الضمير كيف رأت مشهداً مؤلماً للأسيرة أمل طقاطقة، فتقول: «بعد شهرين من اعتقالي وفي تمام الساعة السادسة والنصف مساء، وهو الموعد المعتاد الذي يتمّ فيه إغلاق الغرف، بدأت الأسيرة أمل طقاطقة بالبكاء، على الرغم من أنّ أمل آنذاك كان لها أكثر من 6 سنوات في الأسر، إلّا أنّها لم تتمكّن حتّى تلك اللحظة من استيعاب كيف يمكن للاحتلال أن يغلق عليها فجأة باب الغرفة، ويحرمها من رؤية الشمس، أو استنشاق الهواء».

[18] نصّ بعنوان ساعية بريد الحكايا منشور في مجلة الدراسات الفلسطينيّة بتاريخ 2021/3/17، متوفّر عبر الرابط الآتي https://www.palestine-studies.org/ar/node/1651060.

ويقول الدكتور فتحي فليفل[19] في هذا السياق إنّه يمكن لبعض الأطبّاء النفسيّين النظر إلى هذا الموقف على أنّه نوبة هلع، إلّا أنّه شخصيّاً يرى تصرُّف الأسيرة أمل طقاطقة على أنّه تصرُّف صحّيّ ينبع من محاولة الإنسان وجسده لرفض الواقع المعيش، مقاومة الاحتلال وسياسة القهر، حيث يعيش الأسير شعور الاعتقال يوميّاً، وكأنّه يعيش تجربة الاعتقال مرّتين، الأولى في لحظة اعتقاله، والثانية تكون يوميّاً عند إغلاق الأبواب عليه، واحتجازه في غرفة محدودة المساحة ولساعات محدّدة. وعليه، فإنّ شعور الإنسان المفاجئ بأنّه غير قادر على تقبّل هذه الحقيقة، واحتجازه هو جزء من محاولاته الجسديّة والنفسيّة لخلق الأمل، ومقاومة الواقع المعيش ورفضه، سواء أكان ذلك من خلال البكاء بشكل هستيريّ، أم غيره من أشكال الإشارات الجسديّة، وهو أمر صحّيّ، وجزء من الصحّة النفسيّة التي تساعد الإنسان على عدم وصول مرحلة الاستسلام.

إشكاليّات في الصيف والشتاء

تعاني الأسيرات بشكل عام خلال فترة الصيف من الرطوبة العالية في السجن، ومن البرد القارس خلال فترة الشتاء، حيث تقوم إدارة السجن بإعطاء الأسيرات خلال الصيف مراوح، بواقع مروحة لكلّ أسيرتين إلّا أنّ نسبة الرطوبة العالية تجعل من هذه المراوح غير مفيدة، ومن الصعب جدّاً الإحساس بهواء بارد قادم منها.

عدا عن ذلك، فتضطرّ الأسيرات خلال فترة الصيف إلى الاستحمام ثلاث مرّات أو أكثر كلّ يوم حتى يحاولن التغلّب على قضيّة الرطوبة، إلّا أنّ هذا كان يخلق إشكاليّات أخرى، ترتبط بتحديد إدارة السجن عدد قطع الملابس التي يمكن للأسيرات أن يمتلكنها داخل السجن، وعليه، فإنّ الأسيرات يعانين من شحّ قطع الغيار عند استحمامهنّ أكثر من مرّة، ويحتجن إلى غسل الملابس التي كنّ يرتدينها، وتنشيفها حتّى يتمكنّ من تبديل ملابسهنّ.[20]

يُذكر أنّ طبيعة الرطوبة الموجودة في الغرف تؤثّر سلباً على صحّة الأسيرات، فتقول ياسمين شعبان: تؤثّر الرطوبة الموجودة في الغرف على صحّتنا، خاصّة وأنّ قضيّة الرطوبة لا تقتصر على مرافق السجن، وإنّما هي موجودة أيضاً في الغرف التي تعيش فيها الأسيرات، وهناك عدد من الجدران التي

[19] مقابلة أُجريت مع الدكتور فتحي فليفل بتاريخ 2021/12/16.

[20] يسمح للأسيرات أن يحتفظن ب»غيارين» للشتاء و»غيارين» للصيف وخلال فترات الشتاء يتم وضع الملابس الشتويّة في غرفة المخزن وبالعكس.

تتقشّر بسبب الرطوبة وقِدَم المبنى"، وهذا ما أكّدت عليه أيضاً الأسيرة شروق دويات، فالإدارة لا تقوم بحلّ مشكلة الرطوبة جذرياً، وقد تقوم في بعض الأحيان بدهان بعض الغرف، إلّا أنّ هذا لا يحلّ قضيّة الرطوبة.

ولا تقتصر معاناة الأسيرات على فصل الصيف فقط، حيث تعاني الأسيرات أيضاً خلال فصل الشتاء من البرد القارس، والشحّ في الأغطية، خاصّة في ظلّ تلكُؤ الإدارة عن توفير نظام تدفئة جيّد للأسيرات، فكلّ ما تقوم الإدارة بتوفيره للأسيرات هو مدفأة تعمل على الكهرباء، وتشتكي الأسيرات من هذه المدفأة فلا يمكن للبعيد عنها أن يشعر بالدفْء، وفي الوقت ذاته، عند الاقتراب منها من الممكن أن تتسبّب بحرق.

> ربما أنا أعيش في بيئة جغرافيّة لا تختلف كثيراً عن سجن الدامون، إلّا أنّني أمتلك في منزلي ما يلزمني من الأجهزة الكهربائيّة والأساسيّات التي أحتاجها حتى أتعايش مع هذا الواقع، إلّا أنّني في سجن الدامون لا امتلك هذا.
>
> ايلياء أبو حجلة

كلّ ما يحيطني، أبيض اللون، أو صدأ...

يملأ اللون الأبيض الجزء الأكبر من حياة الأسيرات في سجن الدامون، حيث قامت إدارة سجن الدامون بدهن الجدران وأبواب السجن كافّة باللون الأبيض، فتقول إيلياء أبو حجلة: «كنّا نشعر وكأنّنا في مشفى، فكلّ ما حولنا أبيض اللون، حتّى الحديد لونه أبيض. وربّما يكون هذا الشيء عاديّ جدّاً في الحياة اليوميّة خارج السجن، إلّا أنّ كلّ شيء في السجن يصبح مزعجاً، حتّى اللون الأبيض».

انتهاكات الخصوصيّة تكون على أوجه عدّة

تحاول الأسيرات في الكثير من الأحيان إيجاد سبل للارتباط مع العالم الخارجيّ، وأحد هذه السبل هو صور العائلات. تسمح إدارة السجن لأهالي الأسرى بإدخال صور لعائلاتهنّ، ويُسمح للأسيرات بتعليق هذه الصور داخل غرفهنّ شريطة أن يكون التعليق إمّا على الأبراش، أو على أجزاء معيّنة من الجدران وبشروط خاصّة. تقول إيلياء أبو حجلة في هذا السياق: "كنّا نضع صور عائلاتنا حولنا إلّا أنّنا مع مرور الوقت أصبحنا نلاحظ كيف يدقّق السجّانون والسجّانات بصور عائلاتنا، وشعرنا بانتهاك كبير لخصوصيّتنا؛ الأمر الذي دفعنا إلى إزالة الصور عن الجدران والأبراش، وبدلاً من ذلك، أصبحنا نستعمل الصور قواطع للكتب".

وتكمل إيلياء قائلةً: إضافة إلى استخدام الصور قواطع، كانت هناك بعض الأسيرات اللاتي يقمن بشراء خمسة دفاتر صغيرة الحجم من كانتينا السجن، ويقمن بإلصاق هذه الدفاتر مع بعضها بعضاً، ومن ثمّ يقمن بتغليف الدفاتر باستخدام بعض بقايا الكرتون التي تدخل إلى السجن -كراتين الخضراوات والفواكه- وتربط كلّ هذه الأجزاء مع بعضه بعضاً باستخدام خيوط صغيرة تقوم الأسيرات باستخراجها من أكياس البطاطا. وبعد الانتهاء من هذه العمليّة تقوم الأسيرات بتغليف الدفتر بقطع قماشيّة لتجميل شكله، ويتمّ استخدامه ألبوماً للصّور، حيث تقوم الأسيرة بإلصاق الصور العائليّة فيه، وتكتب تحت كلّ منها ما تريده، كتاريخ إدخال الصورة، أو أسماء الأشخاص الموجودين في الصورة، أو أيّ مشاعر تجاه الصورة.

ويقول الدكتور فتحي فليفل في هذا السياق إنّ تعامل الأسرى مع قضيّة صور العائلة مختلف، حيث تشكّل الصور لبعض الأسرى دافعاً للاستمرار، وأملاً بالمستقبل، وهي نوع من أنواع الأمان الشخصيّ لهم، وبالتالي نرى بعضاً منهم يحاولون بشكل دائم إحاطة أنفسهم بهذه الصور، في حين يرى بعض الأسرى أنّ وجود هذه الصور أمامهم بشكل دائم يذكّرهم بأنّهم غير موجودين مع الأحبّة، ولا يتمكّنون من مشاركتهم بأيّة مناسبة. ولا بدّ من التأكيد في هذا السياق على أنّ إدارة مصلحة السجون تحرم الأسرى في العديد من الحالات من إدخال الصور، أو تقوم بتدمير هذه الصور أثناء اقتحاماتها الغرف، وتأتي هذه الممارسات بهدف ضرب إرادة المعتقلين، وترسيخ مفهوم فقدان السيطرة لدى الأسير بحيث يشعر الأخير بأنّه غير قادر على التحكّم بأصغر التفاصيل اليوميّة في حياته، وأنّه من الممكن أن يُجرّد من كلّ ما لديه في أيّ وقت ترغب فيه دولة الاحتلال.

مخطط مسقط أفقي في غرفة – سجن الدامون

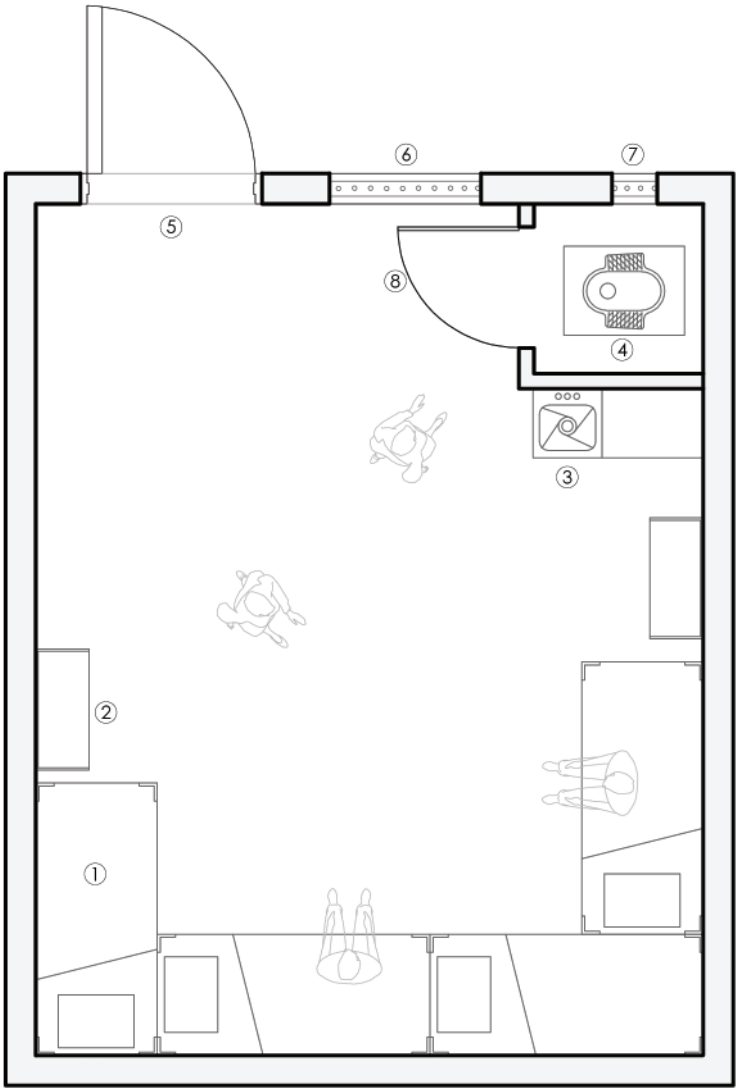

1:50

1. سرير طابقين (برش) أبعاد 180سم * 80 سم
2. خزائن معدنية من وحدات متكررة 40 سم * 40 سم
3. مغسلة صغيرة أبعاد 50 سم * 30 سم، مع مجلى يوضع عليه سخان الماء «قمقم» وطباخ كهربائي «بلاطة»
4. مرحاض أرضي «عربي» معدني
5. باب معدني سماكة 10 سم مع شباك وقضبان أبعاد 40 سم * 30 سم وفتحة «اشناف»
6. شباك مع قضبان وشبك أبعاد 100 سم * 100 سم
7. شباك مع قضبان وشبك أبعاد 30 سم * 40 سم
8. باب حمام خشبي خفيف مع قفل

مخطط مسقط أفقي في قسم الأسيرات - سجن الدامون

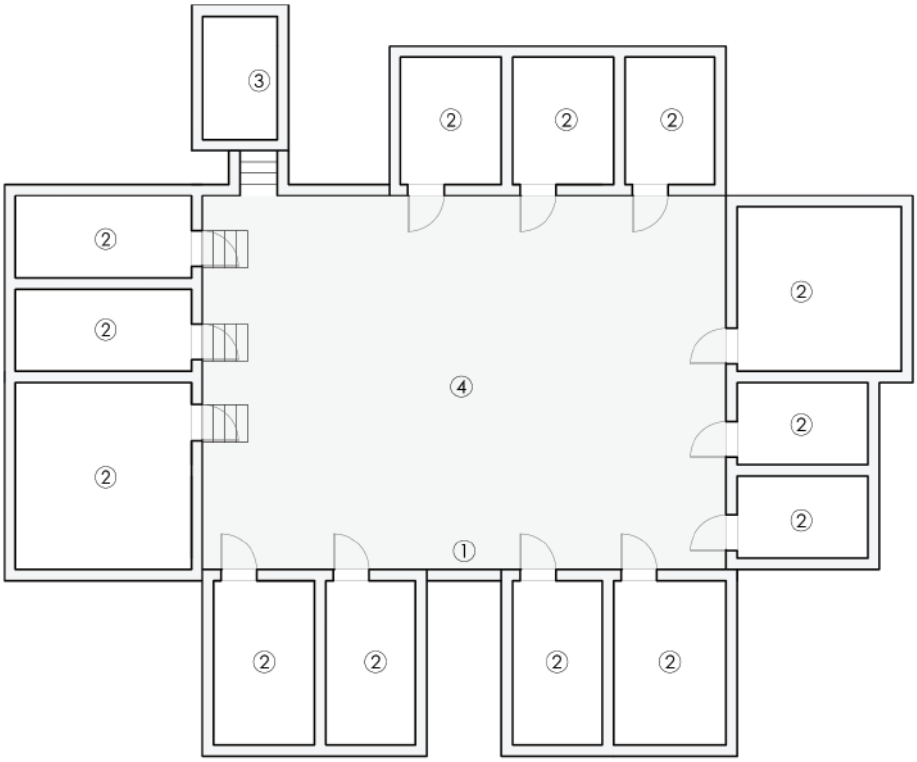

1:200

1. مدخل القسم
2. غرفة أسر + مرافق السجن
3. حمامات
4. ساحة القسم 7م * 8م

سجن النقب

وكالة معاً الاخبارية

سجن النقب

يقع سجن النقب - أو ما كان يُعرف سابقاً باسم أنصار 3- في القسم الجنوبيّ من الأراضي الفلسطينيّة المحتلّة عام 1948، وبالتحديد في صحراء النقب، حيث تمّ بناء هذا السجن وافتتاحه عام 1988، واستمرّ استخدامه مكاناً لاحتجاز المعتقلين الفلسطينيّين حتّى عام 1995، حيث تمّ إغلاقه سنوات عدّة، وإعادة فتحه عام 2000 مع أحداث الانتفاضة الثانية -انتفاضة الأقصى-.[21] وينقسم سجن النقب بشكل أساسيّ إلى 3 فراغات هندسيّة: الأوّل وهو الخيم، والثاني وهو الكرفانات، والثالث وهو المباني الإسمنتيّة، أو الوحدات الخرسانيّة. ولم تكن هذه الفراغات جميعها موجودة عند إنشاء سجن النقب، وإنّما تمّ بناؤها بشكل تتابعيّ نتيجة للارتفاع في أعداد المعتقلين الموجودين في سجن النقب، حيث تمّ إنشاء وحدات البناء التابعة لسجن النقب عام 2007، وتلاها عام 2008 بناء وحدات الكرفانات، ويتّسع السجن بشكل عام إلى ما يقارب ال2000 شخص. وتُظهر الصور أدناه طبيعة التغيّر العمرانيّ الذي طرأ على سجن النقب على مدار الأعوام الماضية الذي يوضّح طبيعة التوسُّع الحاصل والمتمثّل بشكل أساسيّ بثلاثة تغيّرات أساسيّة ملوّنة بالألوان: البرتقاليّ، والأحمر، والأخضر، التي توضّح كبر حجم التغيّرات التي طرأت.

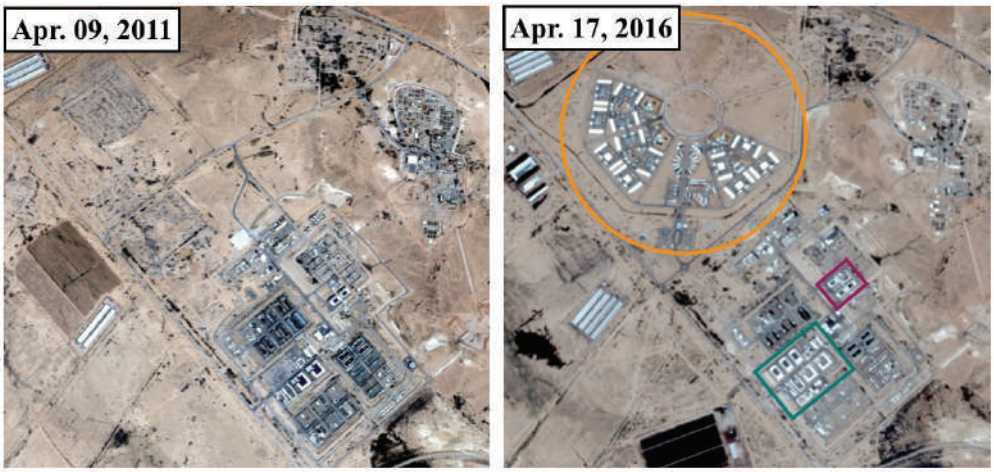

[21] السجون والمعتقلات الإسرائيليّة، وكالة الأنباء والمعلومات الفلسطينيّة، تمّت آخر مراجعة بتاريخ 2021/1/5. متوفّر عبر الرابط الآتي: https://info.wafa.ps/ar_page.aspx?id=3800.

وتُظهر الصورة التالية التغيّر الكبير الذي طرأ على المنطقة التي أُقيم فيها سجن النقب، وطبيعة التوسُّع والمدّ الذي حصل في هذه المنطقة.

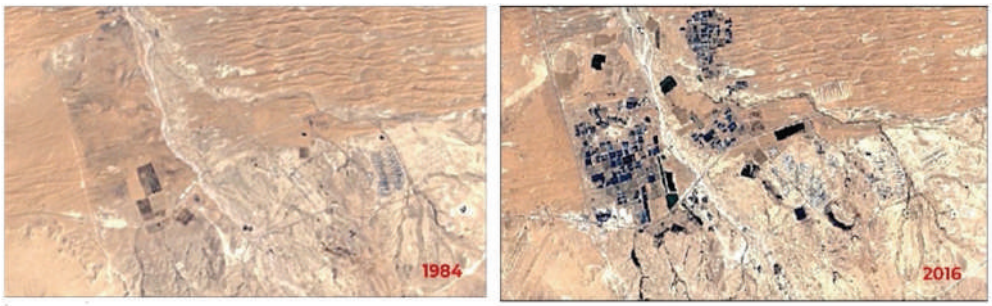

صورة من مشروع طلبة بيرزيت (شادن عواد)

أقسام السجن

ينقسم سجن النقب الصحراويّ إلى ثلاثة فراغات هندسيّة أساسيّة، ويُسمّى كلّ واحد منها قلعة، وتكون على الشكل الآتي:

القلعة (أ)

يتكوّن هذا القسم من خيم مصنوعة من مادّة البلاستيك المقوّى القابل للاحتراق، والمخصّص لغايات الخيم، ويتم وضع عمودين: الأوّل في بداية الخيمة، والآخر في نهايتها، وذلك لغايات إسناد الخيمة. ويحتوي قسم الخيم بشكل أساسيّ على 8 أقسام، في كلّ قسم 6 خيم كبيرة الحجم، ويتمّ وضع كلّ قسمين من هذه الأقسام معاً، ويفصل بينهما جدار طوله 9 أمتار يحيط بالقسم من جميع الجهات.

صورة قديمة متداولة لقسم الخيم في سجن النقب[22]

وتبلغ مساحة كلّ قسم دونماً و200 متر، حيث تتضمّن هذه المساحة: ساحة الفورة، والخيم، والكانتينا وهي خيمة بلاستيكيّة، و6 كرفانات مصنوعة من الصاج وهي الحمّامات، و6 كرفانات أخرى وهي الدوشّات،

[22] صورة من موقع فلسطين أون لاين.

ومساحة أخرى (2متر×2متر) تُستخدم مطبخاً ومكاناً لحفظ الموادّ التموينيّة، ومساحة أخرى مخصّصة غرفةً للغسيل، وهذه تكون عادةً خلف كرفانات الدوشّات والحمّامات، وتكون مغطّاة بشادر من الأعلى. وقبل صدور قرار المحكمة العليا الإسرائيليّة بخصوص المساحة، كانت مصلحة السجون تضع في كلّ خيمة 10 أبراش، بواقع 20 أسيراً في كلّ خيمة. إلّا أنّه بعد صدور قرار المحكمة تمّ تخفيض عدد الأسرى الموجودين فيها إلى ما يقارب 12 أسيراً في الخيمة. ويعيش في هذا القسم عادةً الأسرى المحكومون أقلّ من 7 سنوات.

وتكون الخيم مفتوحة للأسرى طوال الوقت، حيث لا يتمّ إغلاقها. وتفرض طبيعة القسم القائم على الخيم نوع من الخصوصيّة الذي ينعكس على عدم إمكانيّة إجراء العدد على سبيل المثال في الخيم نفسها، حيث تتمّ عمليّة العدد في ساحة الفورة عوضاً عن ذلك. أضف إلى ذلك فإنّ طبيعة موقع السجن القائم في صحراء النقب يجعل منه مكاناً حارّاً جدّاً بشكل عام، ويجعل من هذه الخيم البلاستيكيّة الواقعة في منتصف الصحراء أفراناً بشريّة، حيث يشتكي الكثير من الأسرى من صعوبة العيش في الخيم، خاصّة خلال فترة الصيف.

> في السجن لا توجد أيّ خصوصيّة، ولكن في الخيم بشكل خاصّ لا يوجد أيّ نوع من الخصوصيّة لأنّك تشعر بشكل دائم أنّك في مكان مفتوح لا يوجد فيه أيّ جدران ولا يمكن لك أن تشعر بالأمان.
>
> بلال عودة

القلعة (ب)

قسم خاصّ مبنيّ من الكرفانات المصنوعة من الصاج الحديديّ، ويحتوي هذا القسم على 8 أقسام أخرى، يتمّ عادةً إغلاق أربعة كرفانات، وفتح أربعة منها، وذلك بحسب الحاجة، وعدد المعتقلين في السجن. ويوجد في كلّ قسم من هذه الأقسام 16 كرفاناً، ويحتوي كلّ كرفان على 3 أبراش و6 أسرى، علماً بأنّه في السابق كان فيها 8 أسرى، إلّا أنّه بعد قرار المحكمة بخصوص المساحة تمّ تخفيض العدد إلى 6. وعادة يعيش في هذا القسم الأسرى المحكومون بأقلّ من 10 سنوات.

صورة متداولة لقسم الكرفانات في سجن النقب[23]

ويبلغ ارتفاع الكرفانات بشكل عام ما يقارب المترين ونصف، وتحتوي على شبابيك عدّة صغيرة بمساحة متر× 50 سم، وتكون عادةً في القسم العلويّ من الكرفان وبمستوى البرش العلويّ، وتطلّ هذه الشبابيك على ساحة الفورة، وتكون مغطّاة بشبك وقضبان حديديّة. وتحتوي الكرفانات على مساحة صغيرة مخصّصة كحمّام إفرنجيّ، ويوجد فيها شبّاك صغير، ويتمّ تغطية هذه المساحة باستخدام قطعة قماشيّة ستاراً؛ وذلك بسبب عدم وجود باب منفصل للحمّام، وبسبب طبيعة الخصوصيّة لهذه الكرفانات وصغر حجمها، فلا يوجد بداخلها دوشّات للاستحمام، وإنّما توجد هذه عادةً في قسم خاصّ من ساحة الفورة. وتحتوي ساحة الفورة إضافة إلى الشاورات على كرفان يتمّ استخدامه مخزناً للأسرى، ومساحة أخرى يتمّ استخدامها ملحقاً للأسرى.

القلعة (ج)

هي قسم خاصّ مصنوع من المباني والوحدات الخرسانيّة، ويحتوي هذا القسم على 8 أقسام أخرى، ويحتوي كلّ قسم على 15 غرفة، إضافة إلى مرافق أخرى، مثل: المكتبة، والمغسلة، والكانتينا، بحيث تنقسم الغرف في كلّ قسم إلى قسمين: قسم أرضيّ، وآخر علويّ يتمّ الوصول إليه عبر الصعود على درج. ويتواجد حاليّاً في كلّ غرفة من الغرف ما بين 5-6 أسرى، علماً بأنّها كانت في السابق تتّسع إلى 10 أسرى، ويعيش في هذا القسم عادةً الأسرى ذوو الأحكام العالية. ويتمّ فتح الأقسام للأسرى من الساعة السابعة صباحاً وحتّى الثامنة صباحاً لغايات ممارسة الرياضة، ومن الساعة الثامنة إلى الحادية عشرة، ومن ثمّ يكون هناك عدد، وبعد ذلك تُفتح من الساعة الحادية عشرة والنصف وحتّى الساعة الواحدة، ثمّ من الساعة الواحدة إلى الساعة السادسة مساء. وتتواجد الفورة في الطابق السفليّ من الأقسام.

وممّا تجدر الإشارة إليه في هذا السياق هو وجود اختلاف في بنيان هذا القسم، حيث تمّ بناء بعض الأجزاء منه في وقت سابق للجزء الآخر؛ الأمر الذي تسبّب بوجود بعض الاختلاف في محتويات الغرف، حيث توجد في بعض الغرف دوشّات للاستحمام، في حين توجد الدوشات في بعض الأقسام خارج الغرف،

[23] صورة من موقع فلسطين اليوم.

ولكن تشترك جميع الأقسام بوجود حمّام إفرنجي صغير في كلّ غرفة، ووجود شبّاك صغير للتهوية. ويستخدم الأسرى قطعاً قماشيّة ستاراً للحمّام في ظلّ عدم وجود باب له. وتغلق الغرف على الأسرى بباب حديديّ، لونه أزرق وحجمه متر×190 سم، ويحتوي الباب على شبّاك صغير، حجمه تقريباً 50×50 سم مغطّى بشباك، وفيه طاقة صغيرة أخرى أسفل الشبّاك، وتكون مساحتها 15×30 سم، يتمّ استخدامها لغايات إدخال الطعام.

● المرافق الإضافيّة

تحتوي السجون على عدد من المرافق الإضافيّة التي يتمّ تخصيص مساحات خارجيّة لها، بحُكم صِغر حجم الغرف، وعدم إمكانيّة تخصيص مساحة لهذه المرافق في كلّ غرفة، ومن هذه المرافق على سبيل المثال: المطبخ، وغرفة الكانتينا، وغرفة المغسلة والمحلقة، وساحة الفورة، والدوشّات، وغيرها من المرافق. وتختلف السجون بشكل عام في مساحة هذه المرافق، حيث يتمّ في بعض الأحيان دمج أكثر من مرفق، كدمج غرفة المغسلة والمحلقة والمكتبة في بعض السجون بغرفة واحدة، وفصلها في سجون أخرى. نستعرض تالياً بعض المرافق الموجودة في سجن النقب:

ساحة الفورة

توجد ساحة الفورة في منتصف القسم، وتحيط بها عادةً غرف الأسرى وجدران مرتفعة، ويخرج الأسرى إليها بأعداد محدّدة، حيث قامت إدارة سجن النقب وخاصّة بعد إضرابات الأسرى، ومحاولات الهروب التي قام بها الأسرى على مدار الأعوام، بتحديد عدد الأسرى الذين يجوز لهم التواجد في ساحة الفورة، فلا يجوز أن يتجاوز العدد نصف عدد الأسرى في القسم؛ الأمر الذي يستلزم من الأسرى التنسيق بحيث يخرجون إلى الفورة على شكل مجموعات. وتكون الفورة في قسم الغرف أشبه بغرفة كبيرة، يتمّ سقف نصفها بقطع من الصاج، في حين يبقى النصف الآخر منها مغطّى بشبك دون صاج، ويمكن أن تدخل الشمس من خلاله، أمّا في قسمي الكرفانات والخيم، فتكون الفورة ساحة مسقوفة بشبك صغير الحجم يعيق رؤية الأسرى السماء.

> في السجن، لا يمكن للأسير أن يرى شيئاً. داخل الأقسام، لا يمكن لك أن ترى شيئاً بسبب ارتفاع الجدران، وعندما تدخل إلى الغرف تشعر وكأنّك معزول بشكل مطلق عن العالم الخارجيّ
>
> صلاح حسين

الدوشّات

كما أشرنا سابقاً فإنّ هناك تبايناً بين الأقسام، حيث توجد في بعض الأقسام دوشّات داخليّة، في حين توجد في أقسام أخرى الدوشّات منفصلة وخارج الغرف. وعلى الرغم من هذا التباين إلّا أنّ الأسرى

في سجن النقب يقومون بتنظيم قضيّة تنظيف الحمّامات والدوشّات، حيث يتّفق الأسرى على تنظيف الحمّامات مرّتين يوميّاً، وتنظيف الدوشّات مرّة واحدة يوميّاً، ويتمّ تنظيف الأقسام يوميّاً، وتنظيفها بشكل جماعيّ مرّة أسبوعيّاً، وذلك في يوم الجمعة.

بيئة جغرافيّة غير مناسبة

يقع سجن النقب في منطقة صحراويّة تجعل منه مكاناً حارّاً جدّاً خلال ساعات النهار، وشديد البرودة في ساعات الليل؛ الأمر الذي يزيد من معاناة الأسرى، ويتسبّب هذا الطقس بشكل عام، بانتشار الحشرات والزواحف في السجن. وفي هذا السياق، يقول الأسير صلاح حسين: على الرغم من أنّ هذا الطقس هو طقس تصعب المعيشة فيه بشكل عام، إلّا أنّه منذ ثلاث سنوات تقريباً بدأت دولة الاحتلال بالعمل على مشروع إحياء النقب، حيث أصبحت دولة الاحتلال تحضّر بعض مخلّفات المزارع من الخضار والفواكه، ويتمّ وضع هذه المخلّفات في الأرض بهدف تغيير نوعيّة التربة الموجودة في النقب؛ الأمر الذي حوّل السجن إلى جحيم على الأسرى، حيث ازداد تواجد الصراصير والذباب في المنطقة، ومع الرطوبة الموجودة في بيئة النقب وهذه المخلّفات أصبحت المنطقة مليئة بروائح غريبة. ويصعّب هذا الأمر على الأسرى بشكل أكبر خاصّة في ظلّ عدم وجود مبيدات تحلّ هذه الإشكاليّة.

ويمكن القول بشكل عام إنّ دولة الاحتلال تسعى في الكثير من الأحيان إلى وضع الأسرى في بيئات جغرافيّة لا تتناسب مع البيئات الجغرافية التي ينحدر منها الأسرى؛ وذلك بهدف زيادة صعوبة تأقلمهم مع الوسط الذي يعيشون فيه، حيث تقوم في الكثير من الأحيان بوضع أسرى كانوا يعيشون في بيئات جبليّة في سجون صحراويّة، مثل سجن النقب، أو العكس. وتتسبّب مثل هذه الممارسات بشكل عام بزعزعة إيقاع الإنسان الداخليّ، حيث يأخذ الإنسان بشكل عام إيقاعه من المكان الموجود به، وكما يشير الدكتور فتحي فليفل إلى أنّ وضع الإنسان في مكان جديد قسريّاً، من شأنه خلخلة نظام الإنسان الداخليّ، وبالتالي التأثير على اتّزانه وقدرته على التأقلم، ولا يقتصر هذا الأمر فقط على حالات نقل الأسير من منزله قسريّاً، وحجز حرّيّته في أحد سجون الاحتلال، وإنّما يمتدّ ليصل إلى حالات عقاب الأسرى، ونقلهم من غرفة إلى غرفة، حيث يتسبّب هذا النقل بزعزعة الوسط الاجتماعيّ الذي خلقه الأسير لنفسه؛ الأمر الذي يستلزم منه التكيّف من جديد، وإنشاء شبكة جديدة من العلاقات الاجتماعيّة.

يفرض السجن نفسه حقيقةً نرفضها في المجمل، لكن نعتاد على ملامحها ونألف سماعها، فمع الوقت تصبح الزنزانة "غرفتك" التي توليها اهتمامك ورعايتك. فالأسيرات جميعاً مثلاً، يصفن اشتياقهنّ إلى القسم كلّما ارتحلن خارجه إلى المحكمة أو المستشفى، ويعتبرنه محطّتهنّ الأخيرة، وتخيّلهنّ عن الراحة، فيستبدلن كلمة "ترويحة" للدلالة على رجوعهنّ إلى القسم لا إلى البيت.

ليان كايد[24]

الحياة الاجتماعيّة في السجن

لا تترك إدارة سجن النقب مجالاً للأسرى لعيش حياة اجتماعيّة طبيعيّة، حيث تقوم الإدارة بالدخول إلى الغرف أكثر من 5 مرّات خلال اليوم؛ وذلك لغايات العدد، والدقّ، والتفتيش، وبالتالي تعيق مثل هذه التصرّفات حياة الأسرى اليوميّة. علاوة على ذلك، فقد أشار عدد من الأسرى في سجن النقب إلى أنّ الإدارة دائماً ما تسارع إلى اقتحام الغرف والدخول إليها فور سماعهم أيّ صوت مرتفع بالغرف، سواء أكان هذا الصوت ناجماً عن فرح أم عن حزن.

يشعر الأسير طوال الوقت بوجود الاحتلال، وأنّه دائماً تحت المراقبة، وهذا له انعكاسات نفسيّة على الأسير.

صلاح حسين

دقائق قبل رؤية العائلات

ينتظر الأسرى بشكل عام زيارات الأهالي من شهر إلى آخر، حيث تشكّل زيارات الأهالي في العديد من السجون حلقة الوصل الوحيدة ما بين الأسرى والعالم الخارجيّ، فهي سبيلهم للاطمئنان على عائلاتهم، ومعرفة ما يدور خارج أسوار السجن. وعلى الرغم من أنّ الزيارات لا تتجاوز مدّتها خمساً وأربعين دقيقة، إلّا أنّ الأسرى يتحضّرون طويلاً لهذه الدقائق، حيث يهتمّ الأسرى بتحضير ملابسهم، وتصفيف شعرهم، والحلاقة ما قبل الزيارة، إذ يحاول كلّ منهم أن يظهر بأبهى صورة لديه أمام عائلته.

يقول بلال عودة في هذا السياق: خلال التواجد مع العائلات في الزيارة يشعر الأسير وكأنّ الوقت يمضي بسرعة، فتمرّ الخمس والأربعين دقيقة وكأنّها خمس دقائق، وبعد الزيارة، كنا نتفاعل اجتماعيّاً

[24] نصّ بعنوان السجن كنصّ، منشور في مجلة الدراسات الفلسطينيّة، مرجع سبق ذكره.

مع بعضنا بعضاً، ولكن سرعان ما نشعر وكأنّنا بحاجة إلى الجلوس في خلوة لاستذكار شريط الزيارة بأكمله، وتذكّر أصغر التفاصيل فيها.

أعياد في المعتقلات

يحاول الأسرى بشكل عام المحافظة على ارتباطهم مع الخارج، وكسر طبيعة الحياة في السجون ومن أبسط محاولاتهم هي قضيّة الاحتفال بالأعياد، والاحتفاظ بنمط معيّن من الممارسات خلال فترة الأعياد. فعلى سبيل المثال يقوم الأسرى خلال فترة الأعياد بطقوس معيّنة تقوم على خروج ممثّلي الأقسام صباح اليوم الأوّل من العيد إلى ساحة الفورة، حيث يبدأ الأسرى بالخروج متتابعين، والتسليم على بعضهم بعضاً، وتوزيع بعض الحلويّات في الغرف احتفالاً بقدوم العيد، ولا يتمّ توزيع الحلويّات في ساحة الفورة بسبب منع إدارة السجن هذه الممارسات؛ الأمر الذي يوضّح طبيعة ومدى محاولة الاحتلال التنكيل والتنغيص على الأسرى.

أصبح النوم في 80 سم عادة

لا يوجد لدى الأسرى في غرفهم الكثير من المقتنيات، حيث تحتوي الغرف بشكل أساسيّ على الأبراش، وبعض الرفوف التي يتمّ استخدامها لغايات وضع الملابس، وإبريق تسخين المياه والبلاطة، إضافة إلى بعض المقتنيات الشخصيّة. ويشكّل البرش جزءاً كبيراً من حياة الأسير في السجن؛ بسبب ضيق المساحات في الغرف، واضطرار الأسرى في الكثير من الأوقات ممارسة حياتهم جالسين على البرش، حيث يُضطرّ الأسرى في بعض الأحيان إلى القراءة، والكتابة، وحتّى تناول الطعام على البرش؛ بسبب اكتظاظ بعض الغرف، وعدم إمكانيّة حركتهم جميعاً في آن واحد في الغرفة. وتكون أبراش الأسرى في سجن النقب أبراشاً مصنوعة من الحديد، وتكون على شكل طابقين، وتكون مساحة البرش تقريباً 80 سم × 180 سم.

وقد تكون مثل هذه التفاصيل الصغيرة عابرة لأيّ منّا، ولكنّها تشكّل مفاصل أساسيّة في حياة الأسير، حيث إنّ تجربة الاعتقال لا تنتهي لأيّ أسير بخروجه من المعتقل، فكثير منهم ترافقه بعض التفاصيل من السجن لسنوات طويلة، كالاستيقاظ باكراً على موعد العدد وغيرها. يقول رأفت معروف في هذا السياق: "هناك بعض التفاصيل التي تبقى مع الأسير حتى نهاية حياته، ومن التفاصيل التي لا زالت ترافقني أنّني حتّى اليوم أنام في حيّز واحد دون حراك. نمت لمدّة 15 عاماً في مساحة 80 سم× 180 سم، وحتّى اليوم أنام في هذا الحيّز، ولا أتجاوزه مع أنّ سريري أصبح أوسع".

> في السجن، كلّ شيء تُحرَم منه يصبح ذا قيمة أكبر، فعلى سبيل المثال يُحرم الأسرى من الحصول على إبرة خياطة، أو قدّاحات -إلّا من نوع معيّن- وسجائر من نوعيّات معينّة، وبالتالي ينمو لدى الأسير بشكل لا إراديّ شعور برغبة الحصول على هذه المقتنيات، وحين يصادف

تمكُّن أحد الأسرى وبخاصة الأسرى الجدد من إدخال أيّ من هذه المقتنيات، تصبح أشبه بالكنز للأسرى الموجودين منذ سنوات.

صلاح حسين

ما بين تربية الحيوانات وزراعة العدس

يُعدّ سجن النقب أحد السجون التي تتمتّع بخصوصيّة عالية؛ نتيجة لوجود أقسام مبنيّة من الخيم وأخرى من الكرفانات، إضافة إلى أقسام المباني الخرسانيّة، وتُمكّن هذه الخصوصيّة الأسرى في بعض الأحيان من تربية حيوان يُسمح له بالدخول إلى أحد هذه الأقسام، أو تمكّنهم من زراعة البقوليّات، أو غيرها باستخدام القطن أو القطع القماشيّة. حيث تُمكّن مثل هذه التجارب الأسير من الخروج من جدران السجن، وتخلق روابط وإن كانت بسيطة مع الحياة العاديّة خارج المعتقلات.

يقول بلال عودة في هذا السياق إنّه خلال فترة تواجده في سجن النقب، تمكّن في إحدى المرّات من تربية قطّة، وكان ذلك أثناء تواجده في قسم الكرفانات، حيث اعتنى بلال بهذه القطّة منذ لحظة ولادتها وحتّى بلغت العام، وذلك قبل أن يتمّ نقله إلى قسم آخر. يقول بلال: "نشأت علاقة وطيدة ما بيني وبين القطّة، فقد كانت تنام على برشي وبجانبي، وكنت أهتمّ بها وأرعاها، ودائماً أقوم بإطعامها، وغسلها. كانت هذه القطّة تمنحني مساحة هدوء نفسيّ جميل".

كاميرا السجن... لحظات لا تُنسى

تسمح إدارة مصلحة السجون في بعض الأحيان للأسرى بالتقاط صور مع عائلاتهم، حيث يتمّ ذلك داخل أسوار السجن، فتمنح الإدارة المعتقلين ثوانيَ معدودة للالتقاء بعائلاتهم دون وجود الحواجز الزجاجيّة بينهم؛ وذلك لغايات التقاط صور تذكاريّة. وتشترط إدارة مصلحة السجون بشكل عام أن يكون الأسير محكوماً حتّى يتمكّن من التقاط الصور، ويُسمح عادة للأم والأب أو أحدهما، وفي أحيان قليلة للزوجة بالدخول لالتقاط الصور، ولا يُسمح للأسير بالتقاط الصور كلّما أراد ذلك، بل تسمح الإدارة للأسير بتقديم الطلب للتصوير كلّ بضعة أعوام. روى العديد من الأسرى لمؤسّسة الضمير أهمّيّة هذه اللحظات في حياة أيّ أسير، وحجم الفرح الذي يشعر به الأسير عندما يتمكّن من لمس والده، أو والدته، أو أطفاله، والاحتفاظ بصورة تذكاريّة معهم وإن كانت داخل السجن.

يقول بلال عودة: "خلال فترة اعتقالي تمكّنتُ مرّتين من أخذ صور تذكاريّة مع والدتي ووالدي، كانت هذه اللحظات خاصّة جدّاً، ولا يمكنني نسيانها، كانت مليئة بمشاعر متضاربة، فيشعر الأسير بالفرح والحماس لملاقاة الأهل والأحبّة، والتمكّن من احتضانهم، إلّا أنّ هذه الفرحة تبقى منقوصة، ويبقى شعور الأسير بالحرمان من حرّيّته مرافقاً لها".

هندسة غايتها تسهيل التنكيل بالأسرى

يتعرّض الأسرى في سجون الاحتلال بشكل دائم إلى انتهاكات جمّة، وأحد أبرز ما يتعرّض له الأسرى دوريّاً هو اقتحامات السجون من قِبل الوحدات الخاصّة، التي يتمّ إخضاع أعضائها إلى تدريبات متخصّصة ومكثّفة حول كيفيّة اقتحام غرف الأسرى وأقسامهم، والاعتداء عليهم بالضرب المبرح، وبمختلف الأسلحة، كالصواعق الكهربائيّة، والهراوات، والعصيّ، والغاز السام، والمسيل للدموع، والرصاص المعدنيّ المغلّف بالمطّاط.[25]

وتساعد هندسة السجون بشكل كبير في تسهيل مهمّة هذه الوحدات، فيتمّ تصميم الشبابيك والأبواب بحيث تتمكّن هذه الوحدات من قذف عبوات الغاز المسيل للدموع دون إصابة الوحدات بها؛ بسبب تمكّنهم من إغلاق نوافذ الأبواب بواسطة دروعهم، إضافة إلى هندسة الغرفة القائمة على عدم وجود الكثير من المقتنيات المتحرّكة داخل الغرف، حيث لا يمكن للأسير استخدام هذه المقتنيات في الدفاع عن نفسه، فالأبراش مثبّتة في الجدران والأرض، وبالتالي لا يمكن للأسرى تحريكها عند حصول أيّة عمليّة اقتحام، واستخدامها للاحتماء أو للمواجهة.

يروي راندي عودة تجربته خلال إحدى الاقتحامات لسجن النقب خلال عام 2017 التي تعرّض فيها الأسرى إلى معاملة همجيّة من قبل وحدات القمع، حيث كانت هذه القوّات تقتحم الغرفة تلو الأخرى، وتقوم بضرب قنابل الغاز المسيل للدموع، وترمي الأسرى بعد تكبيلهم إلى ساحة الفورة، وكأنّها ترمي جثثاً حيّة. تعمّدت قوّات القمع وضع الأسرى في ساحة الفورة، وتركهم ما يقارب ثماني ساعات في البرد القارس، وهم مكبّلون على أرضيّة ساحة الفورة.

يقول راندي: "بقينا على هذه الحالة من الثامنة مساءً وحتّى الثالثة فجراً، ونحن نئنّ من الألم والبرد القارس، ونواجه الضرب والإهانات اللفظيّة والسحل، إنّه ألمٌ لا يُحتمل. كانت القوّات أثناء رمينا في الساحة موزّعة إلى مجموعتين: الأولى كانت تعيث في الغرف فساداً وتخريباً، وكان أفرادها يكسّرون المقتنيات، والجدران، وأبواب الحمّامات، ويلقونها خارجاً؛ أمّا المجموعة الثانية فكانت تراقب وتضرب الأسرى المُلقَين على الأرض، إذ كان ممنوعاً أن يتحرّك أحد من مكانه، حتّى أنّ هنالك مَن مُنع من

[25] للمزيد حول هذا الموضوع، انظر دراسة مؤسّسة الضمير لرعاية الأسير وحقوق الإنسان بعنوان اعتداءات الوحدات الخاصّة الإسرائيليّة على الأسرى والمعتقلين أثناء النقل والاقتحامات، 2013، متوفّر عبر الرابط الآتي:
https://www.addameer.org/sites/default/files/publications/Natshon_Metseda.pdf.

الذهاب إلى المرحاض، وكان يعاني من مرض السكريّ، واضطُرّ إلى التبول في ملابسه. وبعد نحو أربع ساعات من انبطاحنا الجبريّ على بطوننا، ونحن نعاني شدّة الألم مع اليدين المكبّلة وراء ظهورنا، مخدّرة لا يجري الدم فيها، والبرد الذي تمتصّه الضلوع من الأرضيّة الباردة المؤلم بشكل لم نألفه، بدأت بوادر تشير إلى احتمال انتهاء القمع.[26]

وممّا تجدر الإشارة إليه إلى أنّ سجني النقب وعوفر من أكثر السجون التي تقوم فيها قوّات القمع باقتحامات للسجن، خاصّة وأنّ كليهما يستوعبان عدداً كبيراً من المعتقلين مقارنة مع باقي السجون. فخلال عام 2007، استُشهد الأسير محمد الأشقر عقب اقتحام وحشيّ للوحدات الخاصّة، وخلال عام 2019 أُصيب ما يقارب 100 أسير في سجن النقب بإصابات مختلفة، ونُقل ما يقارب 15 أسيراً إلى مستشفى سوروكا لتلقّي العلاج؛ نتيجة للإصابات الجسيمة التي تعرّضوا لها.[27]

جمالية انقطاع الكهرباء

تمرّ على الأسرى خلال فترات اعتقالهم حوادث ذات تفاصيل صغيرة جدّاً، إلّا أنّها تشكّل ذكريات مفصليّة للأسرى، يتذكّرونها لأشهر ولسنوات، ومن هذه الحوادث الطريفة كان انقطاع الكهرباء عن سجن النقب خلال أحد أيّام الشتاء، حيث يقول بلال عودة: "مرّ يوم الإثنين بشكل روتينيّ إلى أبعد الحدود. تمّ إغلاق القسم وعدّ الأسرى داخل الغرف، ووضع الأقفال الحديديّة على الأبواب، وهذا الإجراء يوميّاً يقوم به السجّانون، وعند الساعه التاسعة والنصف مساءً وبشكل مفاجئ انقطع التيّار الكهربائيّ وحلّ الظلام، إذ إنّ انقطاع الكهرباء داخل السجن أمر نادر الحدوث وتحديداً في ساعات الليل، فعشرات الأضواء الضخمة تضيء ساحات القسم، وكلّ مكان داخل جدران السجن، حتّى غرف الأسرى يدخلها الضوء من النوافذ بشكل يؤدّي إلى إضاءة الغرفة ليلاً، وبالتالي بات الظلام الذي يذكّرنا بالليل لا مكان له داخل جدران الأسر. وعلى الفور ساد لثوانٍ جوّ من الهرج والمرج والفرح الكبير. وفجأة يخيّم صمت رهيب دون أيّ تنسيق، أو طلب من أحد، جاء الصمت احتراماً لعتمة الليل، جاء الصمت معبّراً عن حلم صغير جدّاً، حلم بأن نعيش اللّيل بظلامه وعتمته كسائر البشر."[28]

وعلى الرغم من أنّ مثل هذه التفاصيل صغيرة جدّاً، إلّا أنّها تشكّل نقاطاً محوريّة للأسرى، وتترك

[26] راندي عودة، من ذكريّات قمع السجان ووفاء القطط، منشور بتاريخ 2020/5/13، مجلة الدراسات الفلسطينيّة، متوفّر عبر الرابط الآتي: https://www.palestine-studies.org/ar/node/1650077.

[27] للمزيد انظر شهادة الأسير عبد الله حميدة، تقرير انتهاكات حقوق الأسيرات والأسرى 2019، متوفّر عبر الرابط الآتي: https://www.addameer.org/sites/default/files/publications/mdl-tqryr_lnthkt_2020.pdf.

[28] نصّ بعنوان من ذاكرة الأسر لشهر أيلول، بلال عودة، منشور في مجلة الدراسات الفلسطينية، بتاريخ 2020/2/10 متوفّر عبر الرابط الآتي: https://www.palestine-studies.org/ar/node/1650161.

فيهم أثراً قد يستمرّ إلى ما بعد خروجهم من السجن، فعلى سبيل المثال يشير إيهاب مسعود إلى أنّه قضى في السجن ما يزيد عن 15 عاماً، وطوال هذه الأعوام لم يتمكّن يوماً من رؤية الظلام كاملاً، فخلال ساعات المساء تتمّ إنارة الساحة بواسطة أضواء كبيرة، ويقوم السجّانون كلّ نصف ساعة بجولة على الغرف؛ للتأكُّد من وجود الأسرى، وخلال هذه العمليّة يتعمّد السجّانون تسليط الإنارة على الأسرى في أبراشهم لغايات التأكُّد من وجودهم؛ الأمر الذي انعكس على مسعود بعد خروجه من السجن، حيث أصبح من الصعب عليه النوم في وسط غير معتم بشكل كامل.

ويقول الدكتور فتحي فليفل في هذا السياق إنّ قضيّة الإنارة في السجون، وردّة فعل الأسير تجاه الإنارة والظلام تأتي إمّا على شكل تعوُّد بحيث يصبح الأسير معتاداً بشكل أساسيّ على النوم في وسط فيه إنارة كما كان الحال بالنسبة له في السجن، أو أنّ هذه الإنارة تصبح عامل استثارة لذكريات السجن لديه، فيحاول الأسير تجنّبها؛ وذلك لأنّ مفهوم الضوء والعتمة يصبح في مثل هذه الحالات مفهوماً مرتبطاً بعوامل أخرى تستثير ذكريات الأسير، وتجربته في المعتقل.

مخطط مسقط أفقي في خيمة – سجن النقب

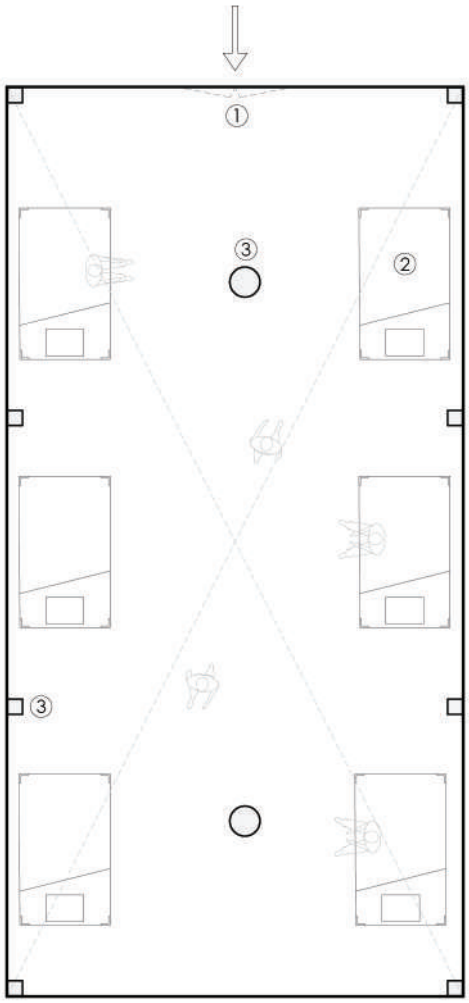

1:100

1. مدخل الخيمة
2. سرير طابقين (برش) أبعاد 200 سم * 120 سم
3. أعمدة الخيمة

مخطط مسقط أفقي في قسم الخيم - سجن النقب

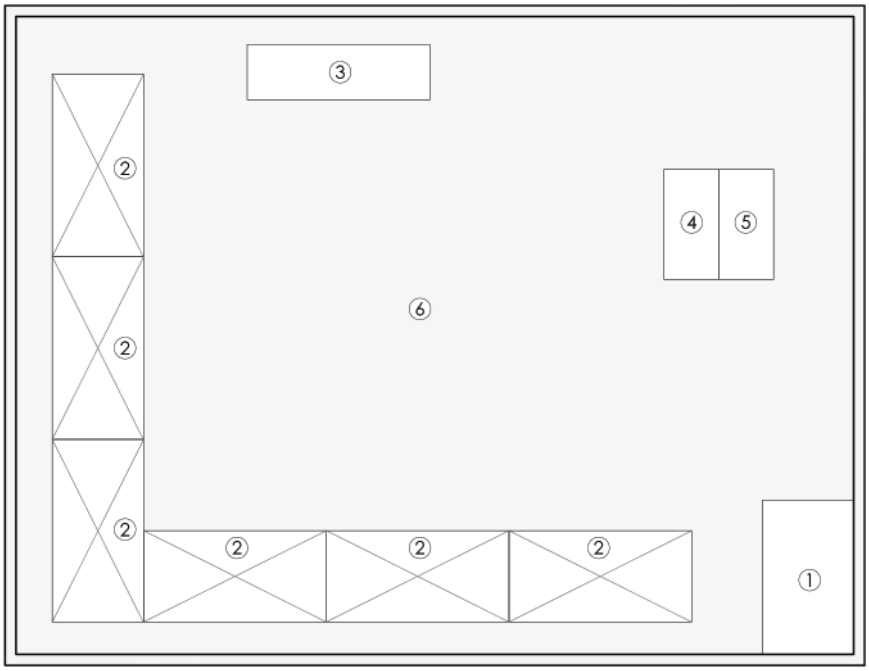

1:500

1. مدخل القسم ومنها يتم الخروج والدخول للقسم
2. خيم الأسرى أبعاد 12م * 6م
3. مطبخ القسم- كونتيرنات «حاويات معدنية»
4. حمامات القسم- كونتينر «حاويات معدنية»
5. شاورات القسم- كونتينر «حاويات معدنية»
6. ساحة القسم

مخطط مسقط أفقي في كرفان - سجن النقب

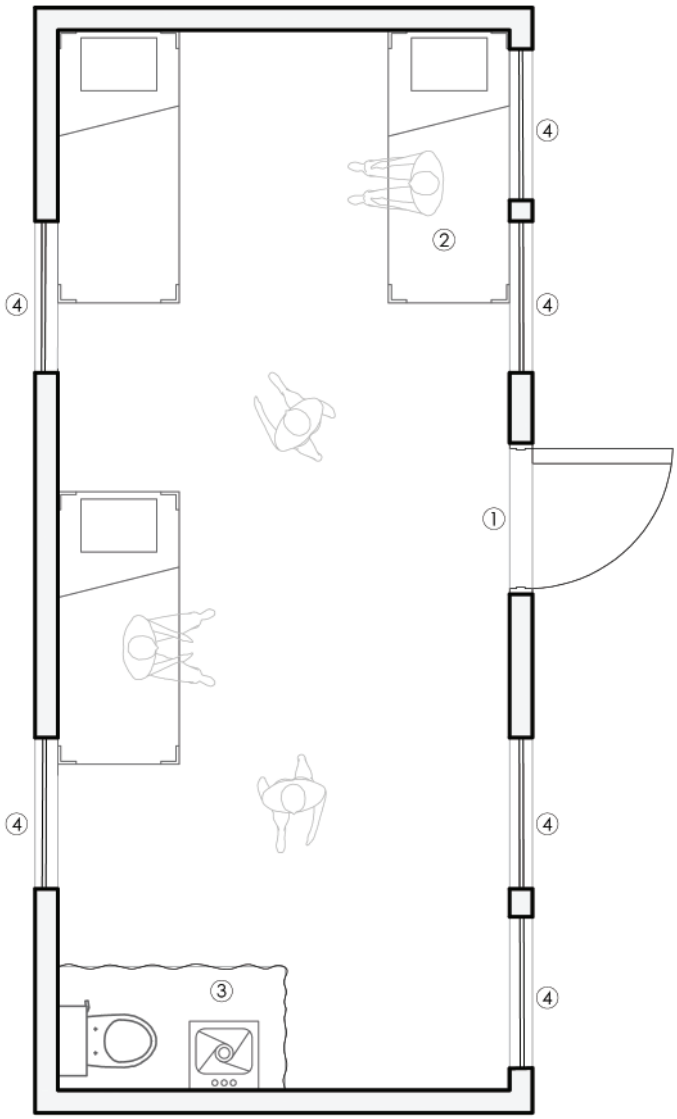

1:50

1. مدخل الكرفان
2. سرير طابقين (برش) أبعاد 180سم * 80 سم
3. حمام الكرفان مكون من مرحاض فرنجي ومغسلة ويتم إغلاقه بالستائر
4. شبابيك كرفان عرض 100سم * ارتفاع 50 سم

سجن إيشل

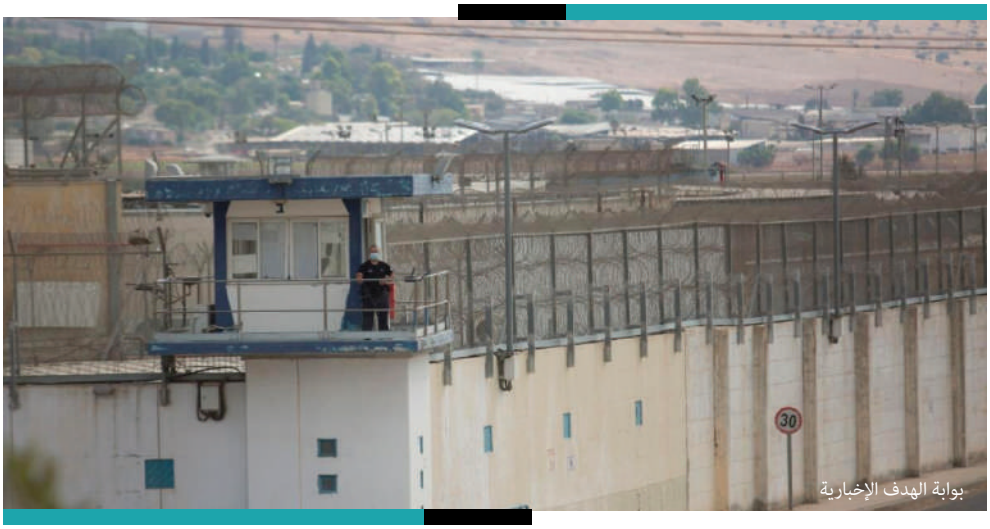

بوابة الهدف الإخبارية

سجن إيشل

ولما كفَّت الزنزانة في الحقبة ألماً بعد حداثيّة في واقع السجون الإسرائيليّة عن القيام ببعض وظائفها، الحرمان من الضوء والإخفاء، واحتفظت بوظيفتها الثالثة، الحبس الذي يُعدّ حبساً يحجب الشمس عن الأسير، ولا يخفيه مقيّداً في دهاليز مظلمة تحت الأرض، فإنّ ذلك لا يعني أنّ السجن تحوّل لأقلّ فظاعة وقسوة، وإنّما انتقل من استهدافه جسد الأسير، وصار موضوعه عقل الأسير الذي يُراد له أن يتحوّل إلى زنزانة فعليّة، وحواس الأسير لأدوات تعذيب.

وليد دقّة- حرّر نفسك بنفسك

يقع سجن إيشل في المنطقة الجنوبيّة بالقرب من منطقة بئر السبع، وهو أحد أربعة سجون موجودة في تجمُّع واحد، حيث يوجد كلّ واحد من هذه السجون منفصلاً عن الآخر، وهي: "اوهلي كيدار"، و"إيشل" للسجناء الأمنيّين، وسجن "ديكل" للسجناء الجنائيّين، وسجن "أيلا" المغلق، الذي يُستخدم للعزل في حالات معيّنة، كالإضراب عن الطعام.[29] تُظهر الصور الجوّيّة التالية وجود تغيّرين أساسيّين على المجمّع حاصلة خلال الأعوام ما بين 2011 و2013 التي تتجسّد باللون البرتقاليّ، حيث تمّت إضافة مبنيين إلى المجمّع، أمّا خلال الأعوام 2013 و2016 تمّ تسييج جزء كبير من قطعة أرض مجاورة للمجمّع، إضافة إلى فتح طريق محاذٍ لها؛ الأمر الذي يمهّد إلى استخدام هذه الأرض لغايات توسعة وإضافة مبانٍ جديدة إلى المنشأة.

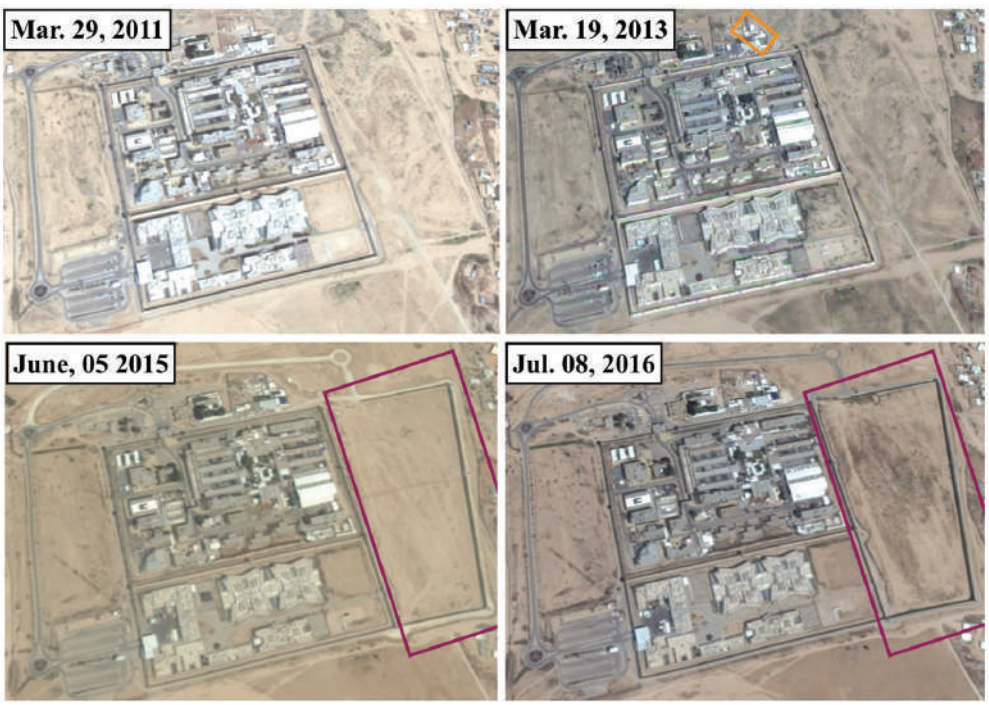

أقسام السجن الأساسيّة

ينقسم سجن إيشل بشكلٍ أساسيّ إلى 3 أقسام، تمّ تخصيص اثنين منها للأسرى الأمنيّين، وآخر للسجناء المدنيّين، ويطلق الأسرى على هذه الأقسام أرقام 17/16/15، علماً بأنّ هذه الأرقام لا تتوافق مع الأرقام التي تستخدمها الإدارة لهذه الأقسام 12/11/10. ويأتي هذا الاختلاف البسيط نوعاً من التمرّد على إدارة مصلحة السجون، وإنْ كان مثل هذا التمرّد بسيطاً من حيث الشكل، إلّا أنّه يعبّر عن رفض الأسرى الدائم لمنظومة الاحتلال من خلال أصغر التفاصيل.

وينقسم كلّ قسم في سجن إيشل إلى 18 غرفة، بواقع 8 أسرى في كلّ غرفة؛ أيّ ما مجموعه 148 أسيراً، وتبلغ مساحة الغرفة في سجن إيشل 7×10 متراً، ويُحتسب من هذه المساحة أيضاً مساحة الحمّام الموجود في الغرف. وكانت إدارة مصلحة السجون سابقاً تضع في هذه الغرف 6 أبراش، حيث كان يتواجد فيها 12 أسيراً، إلّا أنّه خلال السنوات الأخيرة، وبعد صدور قرار المحكمة الإسرائيليّة العليا بخصوص توسعة المساحة في السجون، قامت إدارة مصلحة السجون ببدء العمل على تخفيض أعداد الأسرى في الغرف؛ بهدف زيادة المساحة الشخصيّة الموجودة.

الغرف

تكون الغرف في سجن إيشل مستطيلة الشكل، وتحتوي الغرفة على شبّاك مقابل لباب الغرفة، بحيث يكون هذا الشبّاك ما بين برشين، ويبعد عن كلّ منهما تقريباً 5-15 سم، ويكون مغطّى بشبك وقضبان حديديّة أسطوانيّة الشكل، ويطلّ على حائط من الزينكو الطويل الذي يتجاوز طوله 2.5 متر، ويبعد هذا الحائط عن الشبّاك ما يقرب متراً و20 سم، ولكنه في القسمين 16 و17 يبعد فقط 20-30 سم. ويحجب وجود هذا الحائط رؤية أيّ شيء خارج الغرفة، كما أنّه يحجب الهدف الأساسيّ من الشبّاك وهو التهوية، حيث إنّ وجود حائط بهذا الارتفاع من شأنه أن يحجب دخول الهواء إلى الغرفة، بل على العكس من ذلك يتسبّب هذا الحائط في الكثير من الأحيان بتحويل الغرف إلى مكان شديد الحرارة.

وتحتوي كلّ غرفة على تلفاز يوجد فيه 11 محطّة تلفزيونيّة، يتمّ تحديدها من قبل إدارة مصلحة السجون، ويتمّ بالعادة تغيير بعض هذه القنوات بين الفينة والأخرى؛ نتيجة للتفاوض ما بين الأسرى

[29] للمزيد انظر: خارطة السجون ومراكز الاعتقال، مؤسّسة الضمير لرعاية الأسير وحقوق الإنسان، متوفّر عبر الرابط الآتي:
https://www.addameer.org/ar/prisons-and-detention-centers.

والإدارة، حيث إنّ الجزء الأكبر من هذه المحطّات هي محطّات عامّة وليست محطّات فلسطينيّة أو محلّيّة، ويأتي هذا ضمن سياسة الاحتلال الدائمة بمحاولة إبعاد الفلسطينيّ عن مجتمعه وحرمانه من معرفة ما يدور خارج أسوار السجن. وتحتوي كذلك الغرفة على بلاطة، وسخّان كهربائيّ للمياه، وبعض الحلل التي يتمّ استخدامها في تحضير الطعام، مثل: طنجرة، ومقلاة، وإبريق للشاي والقهوة.

تحتوي الغرفة على حمّام ودوش، حيث تبلغ مساحة الحمّام تقريباً 2×2 متر، وفيه مقعد للحمّام يعمل بنظام الشفط؛ أيّ نظام أقرب إلى نظام الطائرات، ودوش، وخزانة مصنوعة من الستانلس يتمّ استخدامها لوضع بعض متعلّقات الحمّام. ويكون الحمّام أشبه بمربّع مفتوح من الشقّ السفليّ والشقّ العلويّ بمسافة تقريبية 30-40سم؛ الأمر الذي كان يضطرّ الأسرى إلى استخدام قطعة من القماش لتغطية هذه الفتحات، في محاولة منهم للشعور بنوع من الخصوصيّة أثناء استخدام الحمّام. وتكون ماسورة المياه في الدوش رفيعة، وهي أشبه بفتحة حنفيّة صغيرة جدّاً؛ الأمر الذي كان يدفع الأسرى في بعض الأحيان إلى استخدام زجاجات الكولا، أو أيّ أنابيب متوفرة لديهم لغايات رفع ضغط المياه أثناء نزولها.

- **الإنارة**

تحتوي الغرف في سجن إيشل بشكل أساسيّ على 3 وحدات إنارة (نيونات) تكون موزّعة على طول سقف الغرفة، بحيث تكون كلّ وحدة هي عبارة عن عمودَي إنارة يتمّ تغطيتها بعلبة بلاستيك شفّافة. وتعمد إدارة مصلحة السجون إلى تفكيك هذه النيونات كلّما دخلت للتفتيش حيث تخشى إدارة السجن من قيام الأسرى بتخبئة أيّ موادّ فيها. وأشار عدد من الأسرى إلى أنّ الإنارة الصناعيّة الموجودة في الغرف، وعدم تعرُّض الأسرى إلى الشمس بشكل دائم، بالتوازي مع عدم وجود أفق واسع للأسير لينظر إليه خَلَق لدى الكثير منهم مشاكل صحّيّة، وآلام في العينين نتيجة للتعرُّض الدائم للإنارة الصناعيّة.

- **التفتيش والدقّ**

يتعرّض الأسرى في سجن إيشل كما هو الحال بالنسبة للأسرى في بقية السجون إلى التفتيشات الدوريّة، والمتمثّلة بالدخول لغايات عدّ الأسرى ثلاث مرّات يوميّاً، تكون موزّعة على فترة الصبح والظهيرة والمغرب. أمّا فيما يتعلّق بالدقّ، فيتمّ مرّتين خلال اليوم مرّة صباحاً، ومرّة مساء قبل العدد النهائيّ.

- **الفورة**

تختلف الفورة الموجودة في سجن إيشل من قسم إلى آخر، فعلى سبيل المثال تبلغ مساحة الفورة الموجودة في قسم 15 (25) متراً مربّعاً، وهي تُعدّ أكبر فورة موجودة في السجن، وهذا بخلاف الفورة

الموجودة في قسم 17 التي تُعدّ فورة صغيرة نوعاً ما. ويخرج الأسرى إلى الفورة على شكل تجمّعات حيث تخرج كلّ 9 غرف إلى الفورة سويّةً، وتحتوي الفورة على حمّام صغير، ومقعد مصنوع من الباطون ممتدّ على طول الفورة لغايات تمكين الأسرى من الجلوس عليه. وعلى الرغم من أهمّيّة هذا المقعد، إلّا أنّه بشكل أو بآخر يُسهم في تقليص المساحة الموجودة للأسرى. وتحتوي الفورة أيضاً على برّاد للمياه، وعقلة للرياضة، ومتوازٍ وهو أسطوانتان حديديّتان مثبّتتان بالأرض لغايات تمكين الأسرى من ممارسة الرياضة واستخدامها.

ولا يمكن للأسرى في سجن إيشل التعرّض للشمس من خلال الجلوس في الفورة؛ وذلك لأنّ الفورة مسقوفة بالباطون بشكل شبه كامل، حيث يغطّي الباطون ساحة الفورة بشكل كامل باستثناء جزء صغير منها، مساحته حوالي 120 سم ×7 أمتار، حيث إنّ هذه هي المساحة الوحيدة غير المغطّاة من الفورة بالباطون إلا أنّها مغطّاة بالشباك الحديديّة، وهي المجال الوحيد للأسرى لتعريض أجسادهم لأشعّة الشمس. وتحدّ هذه المساحة أيضاً من إمكانيّة التشمّس، حيث إنّ أشعّة الشمس تصلها خلال ساعات الصباح إلّا أنّه في فترة العصر يصبح من الصعب جدّاً، أو حتّى النادر الحصول على أشعّة الشمس من خلالها؛ الأمر الذي يزيد من صعوبة الأمر، حيث يتواجد عدد كبير من الأسرى في مكان ضيّق ومتّسع صغير جدّاً للتعرّض لأشعّة الشمس.

تُفتح ساحة الفورة للأسرى من الساعة 6:30 صباحاً حتّى 7:15، حيث تكون هذه الفترة مخصّصة بشكل أساسيّ لممارسة الرياضة. أمّا عن ساعات النهار، فيخرج الأسرى إلى الفورة 4 مرّات أخرى، وتكون مدّة كلّ فورة ساعة وخمساً وأربعين دقيقة. ولا يقتصر موضوع تغطية ساحة الفورة فقط على حرمان الأسرى من التعرُّض إلى أشعّة الشمس بل يمتدّ أيضاً إلى تحويل ساحة الفورة إلى مكان مليء بالضوضاء، ومن المزعج الجلوس فيه، ففي ظلّ وجود عدد كبير من الأسرى في ساحة مغلقة، وجميعهم يتكلّمون في آن واحد، فتصبح ساحة الفورة مكاناً ذا ضوضاء عالية جدّاً.

يستذكر رأفت معروف في هذا السياق أحد المواقف الطريفة معه، فبعد قضاء سنوات عدّة في سجن إيشل من عدم التعرّض لأشعّة الشمس، نُقل إلى سجن ريمون، فيقول معروف: عندما دخلت إلى قسم ٤ في سجن ريمون تفاجأت بأنّ لوني باهت، ولا أُشبه الأسرى الآخرين، وأدركت حينها أنّ طبيعة الإغلاق التامّ الموجود في سجن إيشل الذي حرمني من التعرّض لأشعّة الشمس جعلني مصفرّ اللون.

مدى الرؤية

يعاني الأسرى في السجون المركزيّة بشكل أساسيّ من عدم وجود للأسرى مدًى للنظر، حيث لا يتجاوز

مدى النظر للأسير في الغرف ثمانية أمتار، وفي ساحات الفورة لا يتجاوز مدى النظر للأسير في أقصى حالاته الـ50 متراً، وتؤدّي هذه القضيّة إلى التسبّب بإشكاليّات في النظر، كالإصابة بقصر النظر أو طوله، حيث إنّ أبعد نقطة يمكن للأسير أن ينظر إليها تبعد عنه 50 متراً، وبالتالي تعتاد أعين الأسرى على هذا الأفق ويصبح من الصعب على أيّ منهم أن يرى أيّ شيء يبعد عن هذه المسافة.

يقول رأفت معروف في هذا السياق: في عام 2006 دخلتُ إلى سجن عسقلان، كنت آنذاك أقف عند باب الغرفة وأنظر إلى التلفاز الموجود في نهاية الغرفة، وأقرأ شريط الأخبار الموجود أسفل الشاشة. بعد ٥ سنوات، انتقلت إلى سجن ريمون، وعندما دخلتُ إلى الغرفة وقفت عند بابها وحاولت أن أقرأ شريط الأخبار لأتفاجأ بأنّني غير قادر على قراءة الخطّ ذاته ومن المسافة نفسها؛ الأمر الذي دفعني إلى الانتقال إلى سجن النقب، حيث يوجد هناك مساحة أكبر بعض الشيء، وأُفق أوسع للرؤية، وكلّ ذلك لمحاولة تحسين نظري.

الإهمال الطبّيّ

يعاني الأسرى في سجون الاحتلال من الإهمال الطبّيّ المتمثّل في تأخير توفير العلاج للأسرى، أو تقديم العلاج اللازم لهم بشكل منقوص، أو غيرها من أوجه الإهمال الطبّيّ، إلّا أنّ تواجُد الأسرى لسنوات طويلة في بيئة غير ملائمة، ولا تحتوي على أبسط مقوّمات الحياة الآدميّة يتسبّب في الكثير من الأحيان بتفاقم الوضع الصحّيّ للكثير منهم. فكما أشار عدد كبير من الأسرى لمؤسّسة الضمير، تلعب بيئة السجن دوراً أساسيّاً في الكثير من الأحيان بتفاقم الوضع الصحّيّ للأسير، حيث تسبّب رطوبة الجدران وانعدام التهوية المناسبة إصابة الأسرى بأمراض في الجهاز التنفّسيّ -أو تفاقم وضعهم الصحّيّ في حال تشخيصهم بهذه الأمراض سابقاً- كضيق التنفّس، والتهاب الشعب الهوائيّة، ومشاكل الجيوب الأنفيّة، والصداع، وضعف الرؤية.

ألوان مقيتة

يتمّ دهان غرف الأسرى في سجن إيشل باللون الأبيض، في حين تُدهن الشبابيك والأبواب باللون الأزرق، وهو الحال في معظم السجون إن لم يكن جميعها، ولا يسمح للأسرى بارتداء جميع الألوان حيث يحظر عليهم ارتداء الألوان القريبة لألوان العاملين في مصلحة السجون كاللون الأزرق والكحليّ. حيث أشار العديد من الأسرى إلى أنّ اللون البنيّ هو أكثر لون يراه المعتقل، فهو اللون المفروض عليهم بحكم ملابس الشاباص. وتوضّح مثل هذه الممارسات تمادي دولة الاحتلال في التنكيل بالأسرى، حيث يمتدّ تقييد الأسرى إلى التحكّم بألوان ملابسهم، وصولاً إلى التحكّم بشكل هذه الملابس، حيث تمنع إدارة مصلحة السجون بالعادة الملابس التي تحتوي على سحّابات، أو أربطة، أو جيوب، أو قبّعات متّصلة بالملابس. وتترك مثل هذه الممارسات أثراً كبيراً في نفوس الأسرى، حيث تستمرّ في تذكيرهم بأنّهم رهن

الاعتقال، وأنّ المعتقل مراقب طوال الوقت حتّى وإن كان ذلك في أبسط الأمور كالملابس التي يرتديها يوميّاً.

ويقول الدكتور فتحي فليفل في هذا السياق إنّ علاقة كلّ أسير مع الألوان المحيطة به تختلف عن الآخر، ولكنّها تتركّز بشكل أساسيّ بثلاث طرق للتعامل معها، حيث إنّ رؤية بعض الألوان بشكل متكرّر ولفترات طويلة، كاللون البنيّ، أو الأزرق، أو الأبيض يخلق لدى الأسير إمّا نوعاً من الميل إلى هذه الألوان والتماهي معها؛ نتيجة الاعتياد عليها حيث تصبح هذه الألوان هي الأقرب إلى الأسير، أو أنّه يرفض هذه الألوان بعد التحرّر، حيث ترتبط في هذه الحالة الألوان بمفاهيم ودلالات ذات علاقة بالسلطويّة والأَسْر؛ الأمر الذي ينفّر الأسير منها، ويولّد لديه مشاعر سلبيّة تجاهها، حيث تُذكّر هذه الألوان الأسير بأنّه كان لفترة من الزمن مرغماً على النظر إليها وارتدائها، وأنّها كانت الألوان الوحيدة المحيطة به، في حين ينجح جزء من الأسرى في التصالح مع هذه الألوان، وبناء علاقة جديدة معها تختلف عن العلاقة السابقة والمفاهيم الناشئة؛ نتيجة لتجربة الاعتقال والتعاطي القسريّ مع هذه الألوان.

> ثمّ ما الحاجة إلى الجهات إذا كانت كلّ البدائل مستطيلة؟ هندسة المستطيلات، حجرة السجن وكذا ساحة القسم وكلّ المرافق، وكذا قاعة الزيارات كلّها مستطيلات متآكلة اللون الأزرق أبيض. وهذا بخلاف الطبيعة، حيث الأزرق الآتي من السماء والأبيض الآتي من السماء ومن أعالي الجبال المكسوّة بالثلوج. الأزرق-أبيض ليسا لونين، إنّهما لون واحد. ولا مجال لسوء الفهم ولا للخطأ في التوصيف. إنّه لون المشروع.
>
> أمير مخّول [30]

إشكاليات حياتيّة

يعاني الأسرى بشكل دائم من طبيعة إقامتهم وعيش حياة بأكملها داخل غرف صغيرة تفتقر إلى أبسط مقوّمات الحياة الآدميّة، كافتقارها إلى سبل التهوية المناسبة. حيث يضطرّ الأسرى بشكل شبه يوميّ -إن لم يكن يوميّاً- إلى الطبخ في هذه الغرف، وفي الكثير من الأحيان يُضطرّون إلى قلي بعض الأطعمة في داخل الغرف، فيستنشق الأسرى هذه الأبخرة والزيوت كافّة، ويزداد الأمر سوءاً بالطبع في

[30] نصّ بعنوان من ذكريات السجن ولعبة النسمات، منشور بتاريخ 2020/7/8، مجلّة الدراسات الفلسطينيّة، متوفّر عبر الرابط الآتي: ص 48. https://www.palestine-studies.org/ar/node/1650309.

حالة تواجد أسرى مدخّنين في الغرف. وعلى الرغم من انعدام إمكانيّة تهوية الغرف بشكل حقيقيّ إلّا أنّ الأسرى يحاولون بشكل دائم التغلّب على مثل هذه الإشكاليّات من خلال محاولة تنظيف الجدران والأبراش باستخدام الكلور ومساحيق التنظيف والغسيل؛ الأمر الذي أثاره العديد من الأسرى خلال مقابلاتهم قائلين: إذا كانت جدران هذه الغرف تتّسخ نتيجة لوجود كلّ هذه الأبخرة، والزيوت، فكيف هو الحال بالنسبة لرئتي الأسرى التي تستنشق يوميّاً هذه الزيوت والأبخرة؟

في سجن إيشل، كلّ ما يصل الأسرى يصل متأخّراً، فالكانتينا تصل إلى الأسرى كلّ 40 يوماً، وهناك الكثير من الفواكه والخضار التي لا يتسنّى للأسرى أن يتذوّقوها طوال فترة تواجدهم في السجن. فأنا شخصيّاً طوال فترة اعتقالي لم أذق طعم فاكهة الجوافة، أو طعم اللوز الأخضر، وطوال 15 سنة، تمكّنت مرّة واحدة من تناول البطيخ، ومرّة كلّ سنة يتسنّى لنا تناول الملوخيّة.

رأفت معروف

أبراش حديديّة مقيتة

تكون الأبراش في سجن إيشل قضبان أسطوانيّة حديديّة تخرج من جدران الغرفة، حيث تكون هذه الأسطوانات معلّقة على شكل برشين: أحدهما أرضيّ والأخر علويّ، ويكون حجم كلّ تخت من هذه بحجم تقريباً 190×90 سم، ويتمّ تثبيت هذه الأبراش باستخدام براغي كبيرة الحجم تمنع تفكيك هذه الأبراش بأيّ شكل من الأشكال، وذلك لغايات منع الأسرى من استخدام الأبراش لأيّة غاية أخرى، كإغلاق باب الغرفة أو الشبّاك، ويتمّ وضع لوح من الحديد على هذه القضبان أساساً للأبراش، ويحتوي كلّ لوح على ثمانية ثقوب دائريّة الشكل، يكون الهدف منها هو تهوية الفرشات. وتوفّر الإدارة في سجن إيشل فرشات رفيعة يكون سُمكها 6 سم تقريباً، إلّا أنّها بعد أقلّ من شهر من استخدامها يصبح سُمك الفرشة 2 سم تقريباً؛ الأمر الذي يتسبّب بآلام في الظهر للأسرى، ففي ظلّ عدم آدميّة هذه الفرشات، ووجود لوح من الصاج المثقوب يشعر الأسير وكأنّه نائم على الحديد. ونتيجة لعدم وجود تهوية كافية في الغرف وعدم إمكانيّة تشميس الفرشات في ساحة الفورة بسبب عدم دخول أشعة الشمس إلى الجزء الأكبر منها، يضطرّ الأسرى في الكثير من الأحيان إلى توجيه المراوح إلى الفرشات، بهدف تجاوز إشكاليّة انعدام التهوية.

مكتبات بموارد محدودة

على مرّ السنوات، أنشأ الأسرى مكتبات في السجون وذلك في إطار سعي متواصل من الحركة الأسيرة للمحافظة على مستوى ثقافيّ وتعليميّ، ويحتوي سجن إيشل على غرفة مخزن قام الأسرى بتحويلها إلى مكتبة، حيث يحتفظ الأسرى فيها بما يقارب 1500-1800 كتاب، ولا يدخل جميع الأسرى إلى هذه الغرفة، ولكن يدخلها أسير معيّن وهو من يُطلق عليه أمين المكتبة، وهو من يقوم بجمع قائمة

الكتب التي يطلبها الأسرى، ويقوم بإخراجها من الغرفة، وتدوين اسم الأسير الذي استعارها، وتاريخ الاستعارة، وغيرها من المعلومات.[31] وبسبب عدم وجود مكان منفصل فقط كمكتبة، ووجود هذه الغرفة بشكل أساسيّ كمخزن، يضطرّ الأسرى إلى وضع بعض المقتنيات فيها، مثل: وضع الملابس الصيفيّة خلال فصل الشتاء، أو العكس بوضع الملابس الشتويّة خلال فصل الصيف، ووضع الأغطية الإضافيّة، أو المراوح أو غيرها.

النطف المهرّبة... وجه آخر للحياة

يبحث الأسرى خلال فترات اعتقالهم على أيّة نافذة أمل تربطهم مع العالم الخارجيّ، ولطالما نجح الأسرى في ذلك، ومن أبرز خصوصيّات التجربة الفلسطينيّة في هذا السياق كانت قضيّة تهريب النطف، حيث نجحت أوّل عمليّة تهريب نطف وإنجاب عام 2012، بعدما نجح الأسير عمّار الزبن المحكوم عليه 27 مؤبّداً في تهريب نطف أنجبت من خلالها زوجته طفلهما الأوّل.[32] بعد نجاح تجربة الزبن، تزايدت أعداد الأسرى الذين يحاولون تهريب النطف وإنجاب أطفال، وكان من بين هؤلاء الأسرى وممّن تمكّنت مؤسّسة الضمير من توثيق تجاربهم رأفت معروف، حيث تمكّن معروف من إنجاب 4 أطفال عبر تهريب النطف. وحول هذه التجربة يقول رأفت: كنت أجلس أنا وبعض الأسرى أمام التلفاز، ونشاهد برنامج "لأجلكم" الذي تقدّمه المذيعة منال سيف، كانت تلك الحلقة مخصّصة للحديث عن قضيّة تهريب النطف، وحول أحد الأسرى الذين تمكّنوا من تهريب النطف وإنجاب طفل. فور مشاهدتي للحلقة شعرت بأنّني أرغب بخوض هذه التجربة. كان قلقي من ردّة الفعل التي قد ألقاها من زوجتي ووالدتي كبيراً، إلّا أنّني قمت بمصارحتهما بالموضوع خلال الزيارة التالية، ووجدت ترحيباً بالفكرة.

ويكمل قائلاً: عندما نجحت أوّل عمليّة تلقيح، قمت بتوزيع الحلوى على الأسرى، واحتفلنا، وكان الجميع يظنّ بأنّ هذا الاحتفال سببه نجاح ابن أختي في الثانويّة العامّة، ولم يعلم أحد بأنّني كنت أحتفل بطفلي الأوّل "عامر".

[31] للمزيد حول موضوع المكتبات والحياة الثقافيّة والتعليميّة في السجون. انظر دراسة مؤسّسة الضمير "دفتر.. قلم وقيد". https://bitly.com/.

[32] عوض الرجوب، النطف المهرّبة وسيلة الأسرى الفلسطينيين للإنجاب، الجزيرة، منشور بتاريخ 2014/12/11، تمّت آخر زيارة بتاريخ 2021/12/7، متوفّر عبر الرابط: https://bit.ly/3lJGo3R.

مع الازدياد في أعداد الأسرى الذين يتمكّنون من تهريب النطف صعّدت مصلحة السجون من تضييقاتها على الأسرى، بالتوازي مع حملات إعلاميّة قام بها الإعلام الإسرائيليّ للتحريض ضدّ الأسرى الذين يقومون بتهريب النطف وضدّ عائلاتهم، وصولاً إلى منع هؤلاء الأطفال من زيارة عائلاتهم بعد ولادتهم، حيث رفضت دولة الاحتلال الاعتراف بهؤلاء الأطفال.[33]

واستكمل رأفت تجربته قائلاً: "أنا شخصيّاً، من الصعب عليّ أن أبكي، إلّا أنّ ولادة طفلي الأوّل عامر ورؤيته أبكتني، وفي أوّل زيارة لزوجتي مع عامر[34] إلى السجن، كنت أشعر بالحماس الشديد. جلست في غرفة الزيارة أنتظر دخول الأهالي، ومع كلّ صرخة، أو ضحكة من أحد الأطفال الموجودين مع الأهالي كانت نبضات قلبي تتسارع. فور دخول الأهالي وتمكُّني من رؤية عامر شعرت بمشاعر لم أشعر بها طوال حياتي، تمكّنت من رؤيته، احتضانه، شممت رائحته، وكأيّ أب كان حلمي أن أقبّل قدميه. عندما خلعت حذاءه لأقبّله، بدأ عامر بالبكاء، الأمر الذي دفع السجّانين الموجودين إلى الاعتقاد بأنّنا كنّا نهرّب شيئاً في حذاء الطفل؛ ما دفعني إلى إعادة عامر إلى زوجتي قبل حتّى أن أشبع منه".

[33] يُذكر أنّ هذه السياسة استمرّت لفترة، إلّا أنّ مصلحة السجون عادت وسمحت لعائلات الأسرى بإدخال الأطفال إلى الزيارات.

[34] يذكر أنّ دولة الاحتلال ترفض إدخال الأطفال الذين يتمّ إنجابهم عبر النطف المهرّبة، إلّا أنّ طفل رأفت معروف الأوّل تمكّن من الدخول إلى السجن نتيجة لسهوة أحد السجّانين بتشابه الأسماء ما بينه وبين أحد أفراد العائلة.

مخطط مسقط أفقي في غرفة – سجن إيشيل

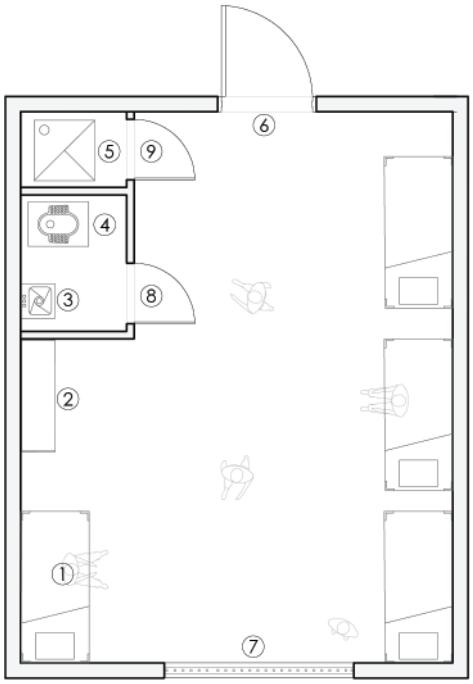

1:100

1. سرير طابقين (برش) أبعاد 200 سم * 120 سم
2. خزائن معدنية لتخزين المواد الغذائية، على سطحها يوضع سخان الماء «قمقم» وطباخ كهربائي «بلاطة»
3. مغسلة صغيرة أبعاد 50 سم * 30 سم
4. مرحاض أرضي «عربي» معدني
5. شاور استحمام
6. باب معدني سماكة 10 سم مع شباك وقضبان أبعاد 40 سم * 30 سم وفتحة «أشناف»
7. شباك مع قضبان وشبك أبعاد 250 سم * 100سم
8. باب حمام سماكة 1 سم من ألمونيوم خفيف
9. باب حمام سماكة 1 سم من صاج خفيف مفتوح من الأعلى والأسفل

مخطط مسقط أفقي في قسم - سجن إيشيل

1. مدخل القسم
2. غرفة أسر
3. مردوان القسم 34 م * 2.8 م
4. باب أمني
5. مغسلة
6. غرفة الشرطة
7. غرفة الإدارة
8. بيت درج إلى الطوابق العليا
9. باب أمني - إلى الفورة
10. الفورة
11. حمام صغير
12. مقعد من الباطون ممتد على طول الفورة
13. عقلة للرياضة
14. فتحة صغيرة في سقف الفورة المصنوع من الباطون
15. حائط من الزينكو الطويل بارتفاع 2.6 م ويبعد عن الشبابيك 1.2 م

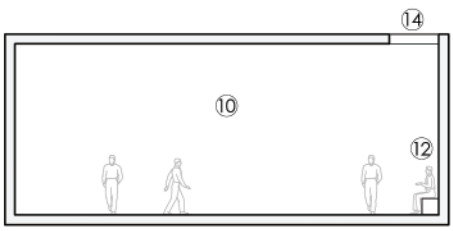

مقطع A-A

1:250

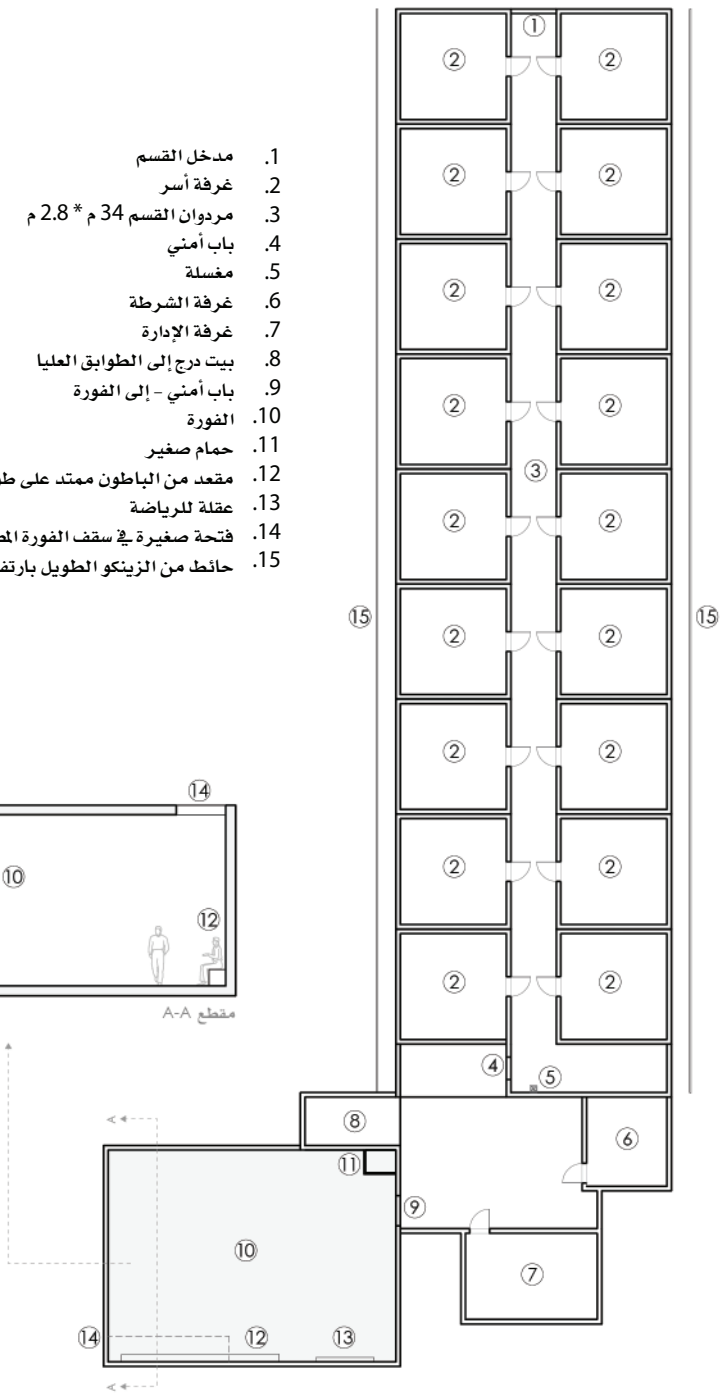

1:500

سجن عوفر

وكالة سبق 24 الإخبارية

سجن عوفر

"لا يشبه القمع والتعذيب في السجون الإسرائيليّة حالات القمع والتعذيب التي تصفها أدبيّات السجون في العالم. ليس هناك حرمان فعليّ من الطعام أو الدواء، ولن تجدوا من هم محرومون من الشمس ومدفونون تحت الأرض. لا يكبّل الأسرى كما في الروايات بسلاسل مشدودة لكتل حديديّة طوال النهار. فلم يعد الجسد الأسير في عصر ما بعد الحداثة هو المستهدف مباشرة، وإنّما المستهدف هو الروح والعقل... نحن هنا لا في سجن "ابو زعبل"، ولا حتّى "أبو غريب"، أو "غوانتنامو" من حيث شروط الحياة. ففي كلّ هذه السجون تعرف معذّبك، وشكل التعذيب، وأدواته المستخدمه. وأنت تملك يقينًا على شكل تعذيب حسّيّ مباشر. لكنّك في السجون الإسرائيليّة تواجه تعذيبًا أشدّ وطأة "بحضاريّته" يحوّل حواسك وعقلك لأدوات تعذيب يوميّ. فيأتيك هادئًا متسلّلاً لا يستخدم في الغالب هراوة، ولا يُقيم ضجة. إنّه يعيش معك رفيق الزنزانة والزمن والباحة الشمسيّة والوفرة المادّيّة النسبيّة."

وليد دقّة- صهر الوعي

يقع سجن عوفر في مدينة بيتونيا بالقرب من مدينة رام الله، ويتكوّن من 12 قسماً، بعضها حديث الإنشاء، وبعضها قديم بعض الشيء، حيث تمّ افتتاح سجن عوفر بشكل أساسيّ عام 1988 وبعد ما يقارب العامين، تمّ إغلاقه، وأُعيد فتحه عام 2000، وكان السجن آنذاك مكوّناً من الأقسام من 11-16 وكانت هذه الأقسام مصنوعة من الخيم، ولكن بعد سنوات عدّة تمّ تحويل السجن من خيم إلى مبانٍ ووحدات خرسانيّة، وفي عام 2015 تمّ افتتاح قسمين جديدين: وهما: 17 و18. وفيما بعد تمّت إضافة الأقسام 19-22. وتأتي مختلف هذه التوسّعات التي حصلت في سجن عوفر على مدار الأعوام الماضية، إلّا أنّ سجن عوفر هو أحد السجون التي يتمّ استخدامها محطّةَ انتظار للأسرى، حيث يتمّ وضع الأسرى غير المحكومين أو المحكومين بأحكام منخفضة في هذا السجن؛ الأمر الذي يجعل منه مكاناً مزدحماً بالأسرى بشكل عام. وتدّعي دولة الاحتلال بأنّ سجن عوفر يتّسع إلى ما يقارب 1100 شخص، إلّا أنّ هذا قد لا يتواءم مع المعايير الدوليّة ومعايير المساحة التي أقرّتها المحكمة العليا الإسرائيليّة، حيث إنّ دولة الاحتلال تتجاوز هذه المعايير في الكثير من الأحيان، وتضع عدداً كبيراً من الأسرى في مساحات صغيرة جدّاً.

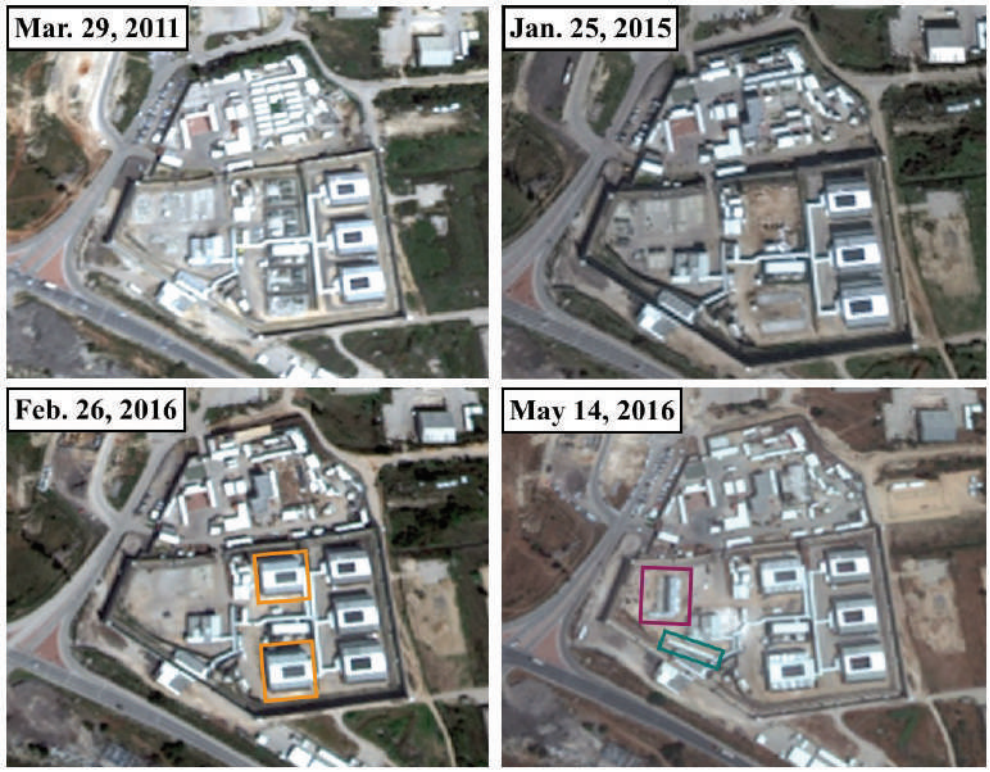

الأقسام العاديّة في سجن عوفر (11-20)

يتكوّن كلّ قسم من هذه الأقسام من 12 غرفة، ويتواجد عادةً فيها 10 أبراش بواقع 10 أسرى، إلّا أنّه وبعد صدور قرار من المحكمة العليا الإسرائيليّة بخصوص المساحة في السجون، تمّ تخفيض عدد الأسرى الموجودين في الغرف إلى 6 أسرى؛ أيّ ما مجموعه 72 أسيراً في كلّ قسم. وتبلغ مساحة كلّ غرفة تقريباً 8×3.5 متر. وتتوزّع الغرف بشكل عام على طابقين، بحيث يكون في الطابق الأرضيّ خمس غرف للأسرى، وغرفة للكانتينا، وأخرى للمغسلة والمحلقة والمكتبة معاً، وفي الطابق الثاني الغرف من رقم 6-12 إضافة إلى غرفة مخصّصة لتكون مخزناً فيتمّ فيها وضع الملابس الإضافيّة، وبعض ممتلكات الأسرى فيتمّ وضع المراوح، أو الأغطية الصوفيّة فيها. ويرتبط الطابق العلويّ بالسفليّ من خلال درج خارجيّ. وتحتوي كلّ غرفة من هذه الغرف على مرحاض، في حين أنّه يوجد في كلّ طابق منطقة خاصّة للدوشات، فيوجد في كلّ طابق تقريباً 7 دوشات؛ الأمر الذي يعني أنّه لا يمكن للأسرى الاستحمام إلّا خلال فترة الفورة، بحكم وجود الدوشات خارج الغرف.

الغرفة التي يعيش فيها الأسرى

تبلغ مساحة كلّ غرفة تقريباً 3.5×8 متر، ويوجد في كلّ منها عدد من الأبراش يتناسب مع عدد الأسرى الموجودين فيها، إضافة إلى وجود مساحة مخصّصة للحمّام -سيتمّ مناقشتها تفصيليّاً تالياً-. وتحتوي الغرف بشكل أساسيّ على زاوية مخصّصة مطبخاً صغيراً يحتوي على البلاطة، والكمكم. ويتمّ تخصيص خزانتين معدنيّتين صغيرتَي الحجم لكلّ أسير، بحيث تكون هذه الخزائن بالقرب من الأبراش، ويتمّ استخدامها لوضع الممتلكات الشخصيّة، كالملابس. ويوجد في كلّ غرفة جهاز تلفاز واحد يكون موجوداً عادة فوق باب الغرفة، ويتمّ توفير هذه الأجهزة من قبل الإدارة إلّا أنّه في حال كسر التلفاز يتحمّل الأسرى تكلفة شراء جهاز جديد، وتكون المحطّات الموجودة على التلفاز محدّدة من قبل إدارة السجن، ولا يمكن للأسرى إضافة أيّة محطّات جديدة.

تحتوي الغرفة أيضاً على طاولة وأربعة مقاعد بلاستيكيّة، وطاولتين صغيرتين (سكملة)، ويتمّ استخدام هذه المقاعد والطاولات أثناء فترة الغداء، حيث يجلس الأسرى عليها ليتناولوا الطعام جماعيّاً، ولكن في حال وجود أكثر من 6 أسرى في الغرفة، يضطرّ أحد الأسرى إلى الجلوس على الأرض، أو تناول الطعام وهو جالس على برشه، أو واقفاً، فلا تقوم إدارة السجن بزيادة عدد المقاعد في حال زيادة عدد الأسرى الموجودين، وفي حال كسر أيّ كرسيّ، فإنّ عمليّة استبداله بكرسيّ جديد تأخذ فترة طويلة.

> وضعت إدارة السجن مكيّفاً للهواء في غرفة المخزن، وكان هذا سبباً رئيسيّاً لقيام أحد الأسرى بأخذ فرشته خلال أيّام الصيف، ووضعها في غرفة المخزن، حتّى يتمكّن من النوم تحت المكيّف.
> حافظ عمر

ويُسمح للأسرى خلال فترة الصيف بشراء عدد من المراوح[35] لكلّ غرفة، حيث يحتفظ الأسرى بهذه المراوح طوال فترة الصيف، ويتمّ نقلها إلى المخازن مع بدء فصل الشتاء. وعلى الرغم من وجود المراوح إلّا أنّ عدداً من الأسرى أشاروا إلى أنّها غير قادرة على إحداث أيّ فرق حقيقيّ للأسرى خلال فترة الصيف؛ وذلك بسبب تشغيل البلاطة في الغرف، والحاجة الدائمة إلى الطهي، وتسخين المياه داخل الغرف؛ الأمر الذي يعمل على الإبقاء على جوّ الغرف حارّاً.

[35] تعدّ هذه القضيّة إحدى الإشكاليّات الدائمة للأسرى، فعلى مرّ السنين نجحت إدارة مصلحة السجون في تحويل جزء كبير من حقوق الأسرى التي يجب أن يحصلوا عليها من إدارة السجون إلى امتيازات يتمّ شراؤها على حساب الأسرى، مثل: المراوح، والصحون، والملاعق، والطناجر، والمخدّات، والشراشف، وغيرها الكثير من الأمور.

علاوة على ذلك، يزداد الأمر سوءاً للأسرى المتواجدين في غرف الطابق العلويّ، حيث تعمد إدارة السجن إلى صبّ سقف هذه الغرف بمادّة الزفتة، ووضع ألواح من الصاج فوقها؛ الأمر الذي يحوّل الغرف إلى أفران. وتُضاء غرف الأسرى بواسطة 3 وحدات إنارة تكون ممتدّة على طول الغرفة، ويكون التحكّم بهذه الإنارة من قبل الأسرى أنفسهم، إلّا أنّ معظم الأسرى يقومون بشراء لمبات صغيرة يمكن تعليقها على الأبراش، وذلك لغايات القراءة خلال ساعات الليل.

> المراوح الشخصيّة وأغلبيّتها قديمة، قد امتلكتها مصلحة السجون على حساب الأسرى مباشرة، أو بشكل غير مباشر على حساب أرباح الكانتينا، وفي الحالتين على حساب الأسرى. فالمراوح كما كلّ الحقوق لا تُعدّ حقّاً بل منّة وامتيازاً تستطيع إدارة السجن التحكّم فيها متى أرادت الانتقام تحت مسمّى العقاب. حال هذه المراوح هي أنّها تبث مساء وليلاً الهواء الحارّ الذي اختزنته الجدران والشبك الحديديّ الهائل طوال النهار، لتكون الجدران حارّة، وتنشر سخونتها إلى الأسير الملتصق بها، حيث لا يتعدّى عرض السرير الحديديّ الستين سنتيمتراً، وهكذا ينال كلٌّ نصيبه القسريّ من الحرارة المخزونة.
>
> أمير مخّول[36]

يتمّ إغلاق غرف الأسرى بواسطة باب مصنوع من الحديد، يُفتح باتّجاه الخارج، ويكون سُمك الباب 10 سم تقريباً، ويحتوي على شبّاك مساحته تقريباً 40×60 سم مغطّى بثلاث أسطوانات حديديّة دائريّة، وشبك حديديّ بشكل مربّعات، وكذلك يكون في الجزء السفليّ من الباب طاقة أخرى صغيرة يتمّ استخدامها في بعض الأحيان لغايات إدخال الطعام. وتتمّ تغطية الشبّاك الموجود في الجزء العلويّ من الباب بواسطة قطعة من البلاستيك المقوّى وذلك خلال أشهر الشتاء لغايات التقليل من دخول الهواء البارد إلى الغرف، وتتم إزالته خلال فترات الصيف.[37] ويوجد في كلّ غرفة شبّاك بجانب الباب، حيث يطلّ هذا الباب على ساحة الفورة، وتتمّ تغطيته أيضاً بثلاثة أو أربعة قضبان مستطيلة الشكل، وشبك حديديّ على شكل مربّعات. ويكون حجم هذا الشبّاك متر×متر تقريباً. ولا يساعد وجود هذا الشبّاك في تهوية غرف الأسرى، أو حتّى بدخول إنارة كبيرة؛ وذلك بسبب ارتفاع الجدران المحيطة بالسجن. وعلى العكس من ذلك، تعمد قوّات القمع إلى إغلاق هذا الشبّاك عند اقتحامها غرف الأسرى، وضرب قنابل الغاز عليهم، حتى تحجب بذلك سبيل التهوية الأساسيّ للغرفة.

---

[36] نصّ بعنوان أعلى من معدّلها السنويّ. منشور في مجلّة الدراسات بتاريخ 2021/8/6، متوفّر عبر الرابط الآتي:
https://www.palestine-studies.org/ar/node/1651505.

[37] تشترط الإدارة في هذه الحالات أن تكون قطعة البلاستيك المقوّى مثقوبة بطريقة تسمح للسجّان مشاهدة الغرفة أثناء جولاته المتكرّرة في الليل.

صورة متداولة لقوّات القمع أثناء إغلاقها شبّاك الغرفة [38]

- **حمّام الغرفة**

يوجد في الزاوية الخلفيّة من كلّ غرفة حمّام مساحته تقريباً 180سم×80سم، بداخله مغسلة، وحمّام عربيّ،[39] وشبّاك صغير مساحته 50×70 سم، وعليه قضبان مستطيلة الشكل، وشبك حديديّ على شكل مربّعات، ويطلّ هذا الشبّاك على الجدار الخلفيّ، كما هو الحال بالنسبة للشبّاك الموجود في نهاية الغرفة والمشار إليه سابقاً، حيث يطلّ الشبّاك على ألواح من الصاج الطويلة التي لا تترك للمعتقل أيّ مجال لرؤية أيّ شيء، وتحجب دخول الهواء إلى الحمّام وتهويته.

ومن الإشكاليّات البارزة في قضيّة الحمّامات الموجودة في سجن عوفر هو أبوابها، ففي الأقسام القديمة وهي الأقسام من 11-14 تمّ استخدام أبواب مصنوعة من البلاستيك المقوّى، والموضوعة بإطار مصنوع من الألمنيوم، ويتمّ إغلاقها بواسطة سحّاب، وكانت أكبر إشكاليّات هذه الأبواب أنّها غير عازلة للصوت أو الرائحة؛ الأمر الذي كان يتسبّب بتحرّج الأسرى من استخدام الحمّامات خاصّة عندما كانت أعداد الأسرى في الغرف أكثر.

---

[38] وكالة وفا للأنباء والمعلومات.

[39] يذكر أنّ جميع الحمّامات في سجن عوفر هي حمّامات عربيّة باستثناء بعض الأقسام الحديثة، حيث بدأت إدارة السجن تضع في كلّ قسم غرفة واحدة فيها حمّام إفرنجيّ، وذلك للحالات الصحّيّة التي تعاني من ظروف صحّيّة تجعل من الصعب عليها استخدام الحمّام العربيّ.

عقب بضع سنوات وعند بناء الأقسام من 15-20، تمّ استخدام أبواب مصنوعة من الحديد؛ الأمر الذي ساعد الأسرى في تخطّي إشكاليّة عزل الصوت والرائحة عن الغرف، ومنح الأسرى مساحة أكبر من الشعور بالخصوصيّة أثناء استخدام الحمّامات. أمّا بالنسبة للقسمين 21 و22 اللذَين تمّ بناؤهما مؤخّراً، فلم تتمّ مراعاة قضيّة خصوصيّة المعتقلين في الحمّامات، حيث يكون باب الحمّام لوحاً من الصاج طوله متر، ويكون القسمان العلويّ والسفليّ من الحمّام مكشوفين بمعدّل 40 سم من كلّ جهة. ونتيجة لهذا الانكشاف وانعدام شعور الأسير بالخصوصيّة، قام الأسرى باستخدام القطع القماشيّة لتغطية الأجزاء المفتوحة من الحمّام، إلّا أنّ هذا لم يساعد الأسرى في حلّ إشكاليّة انعدام الخصوصيّة، وعدم وجود أيّ عزل للصوت أو الرائحة.

ويحاول الأسرى بشكل دائم إيجاد حلول لمثل هذه الإشكاليّات، حيث يعمد بعض الأسرى إلى استخدام "سيفون" الحمّام كحلّ، حيث يقوم الأسير بضرب سيفون الحمّام مراراً أثناء استخدامه الحمّام، بحيث تغطّي المياه على أيّ صوت أو رائحة في الحمّام، إلّا أنّ دولة الاحتلال أصبحت تتذرّع بحجّة أنّ مثل هذه الممارسات تكلّف دولة الاحتلال مبالغ إضافيّة على فواتير المياه، وبالتالي أصبحت تغرّم أيّة غرفة يرتفع لديها معدل استخدام المياه، أو تقوم بمعاقبة الأسرى المقيمين فيها بشكل آخر.

- **أرضيّات جارحة**

قد يعتقد المرء للوهلة الأولى بأنّ الأرضيّات التي يمشي عليها الأسرى في السجون هي أرضيّات مصنوعة من الباطون، إلّا أنّ الأسرى الذين عاشوا في سجن عوفر أشاروا إلى أنّ هذه الأرضيّات ليست مصنوعة من الباطون، وإنّما مصنوعة من البلاستيك الشبيه بالبلاط، حيث إنّ الأرضيّات ملساء إلّا أنّ أكبر إشكاليّة فيها هي أنّ هذه الأرضيّات ومع مرور الزمن تتكسّر من بعض المواضع؛ ما يزيد من معاناة الأسرى من خلال تجمّع المياه فيها أثناء التنظيف؛ بسبب عدم استواء الأرض الموجودة أسفل البلاستيك، ومن خلال إصابة الأسرى في الكثير من الأحيان بجروح في القدمين نتيجة لسيرهم على هذه الأجزاء المكسورة دون ارتدائهم الأحذية، وكذلك الحال بالنسبة للأسرى الذين لا يجدون مقاعد للجلوس أثناء تناول الطعام، ويضطرّون إلى الجلوس على الأرض، حيث لا يشعر الأسرى بالراحة أثناء ذلك.

- **ساحة الفورة**

توجد ساحة الفورة في وسط كلّ قسم، وهي ساحة مستطيلة الشكل مساحتها تقريباً 8×3 متر، وتكون هذه الساحة دائماً في الطوابق السفليّة. وفي نهايتها يوجد درج يصل ما بين الطابق العلويّ والسفليّ، وعادة ما يكون لون أرضيّة الفورة بنيّاً أقرب للحمرة، وهي أشبه لأرضيّة ملاعب (الباسكيت) حيث إنّها أرضيّة ملساء، وتغطّي ساحة الفورة من جهة السقف قضبان أسطوانيّة الشكل مصنوعة من

الحديد، ويعلوها شبك حديديّ، وفي بعض المساحات من الفورة توجد ألواح من الصاج؛ الأمر الذي يحجب أشعة الشمس عن بعض المساحات من الساحة، ليصل الأمر في بعض الأقسام إلى انعدام دخول أشعة الشمس نهائيّاً. يقول أيمن ناصر في هذا السياق: "كنت متواجداً في قسم لم تكن تدخله الشمس كثيراً، كانت الشمس تصل إلى مساحة صغيرة تبلغ متراً ونصف المتر، وعليه كلّما كنت أرغب التشمّس قليلاً، كان عليّ أن أقف على أحد الكراسي في هذه المساحة الصغيرة حتى تصلني أشعّة الشمس، علماً بأنّ هذا لم يكن ممكناً سوى خلال فترات الظهيرة.

> عندما تكون في ساحة الفورة تشعر وكأنّك جالس في بئر ماء، حيث إنك جالس في قاع هذا البئر، وتحيط بك جدران من الجهات الأربع لا يقلّ طولها عن ١٠ أمتار.
>
> أيمن ناصر

وتوجد في إحدى زوايا الفورة عادةً مساحة صغيرة مخصّصة حمّاماً للأسرى الموجودين في الفورة، ويوجد هذا الحمّام بشكل أساسيّ لغايات تجاوز إشكاليّة إغلاق الأبواب كلّ نصف ساعة، حيث يقوم نظام السجن بشكل عام على فتح أبواب الغرف وإغلاقها خلال فترة الفورة كلّ نصف ساعة، بحيث يتمكّن الأسرى من العودة إلى غرفهم، أو الخروج إلى الفورة خلال هذه العمليّة.

> عالم السجن معزول عن العالم الخارجيّ، وهو ما يحاول الاحتلال فعله، أي عزل الأسير عن حياته وعائلته وأصدقائه، وكذلك فرض السياسات الممنهجة لإشعار الأسير بأنّه وحيد وليس لديه القدرة على التواصل مع العالم الخارجيّ.
>
> ميس أبو غوش [40]

ويمكن القول بشكل عام إنّ ارتفاع الجدران المحيطة بالفورة وبالسجن هو ارتفاع مبالغ به، حيث إنّ الضرورات الأمنيّة لا تعني بالضرورة وضع جدران يزيد ارتفاعها عن 8 أمتار، ولكنّ هذا الارتفاع المبالغ فيه قد يكون لغايات حبس المعتقل روحاً وليس فقط جسداً، حيث يقول الدكتور فتحي فليفل في هذا السياق: إنّ هذا الارتفاع في الجدران يهدف بشكل أساسيّ إلى تخفيف قدرة المعتقل على الاستمتاع بأيّ شيء، وبالتالي محاولة كسر المفهوم الجماليّ داخل الإنسان، فلا يستطيع استخدام حاسّة النظر لرؤية المناظر الجماليّة والبيئة المحيطة على سبيل المثال، ومن جهة أخرى فإنّ شعور الإنسان وكأنّه موجود في

[40] نصّ بعنوان من بين القساوة رأيت الغد المشرق، منشور بتاريخ 2021/2/17 في مجلة الدراسات الفلسطينيّة، متوفّر عبر الرابط الآتي: https://www.palestine-studies.org/ar/node/1650999.

بئر من الماء هو لتعزيز فكرة العجز في الأسر، بحيث يشعر الأسير وكأنّه عاجز ومنعزل عن العالم كلّه، فلا أحد يسمعه ولا أحد يراه لأنّه موجود في بئر.

تبني لنفسك الجهات كي تتوازن الحياة، ومعها قطعة الجبل التي تظهر من عند بوابة الكانتينا، وزاوية الجدار المرتفع ثمانية أمتار والذي يحدّك من كلّ حدب وصوب، ويعلوه الشبك الذي يقطّع السماء والغيوم إلى مربّعات صغيرة لا تشبه الفسيفساء، ولا يتّسع المربّع الواحد لأكثر من نجمة واحدة يجعلها تبدو وحيدة طوال فترة السجن. تظهر قطعة الجبل في عنبر واحد وتختفي في آخر لأنّ اتّجاهات العنابر متقاطعة. وهي مرهونة لمقاسات جسمك وطول قامتك، فكلّما ازدادت كسبتَ قطعة صغيرة تضاف إلى قطعة الجبل الصغيرة، وإذا لم يحالفك الحظّ يفلت الجبل من الأفق ويعلو الجدار.

أمير مخّول[41]

حياة رياضيّة في مساحات ضيّقة

يُسمح للأسرى عادة ممارسة الرياضة خلال ساعة الفورة الصباحيّة التي غالباً ما تكون من الساعة السابعة صباحاً وحتّى الثامنة. وعلى الرغم من أنّ ساحة الفورة لا تحتوي على أجهزة رياضيّة حقيقيّة إلّا أنّها تحتوي على سبيل المثال على عقلة، وعلى علّاقات صغيرة على جانبي الجدران الموجودة في الساحة وذلك لتمكين الأسرى من تعليق شبك للعب، إضافة إلى وجود ماكينة أشبه بماكينة الضغط للصدر. هذا ويُسمح للأسرى أيضاً لعب نطّ الحبلة والركض في الساحة، حيث يتمّ تزويد الأسرى بالحبلة صباحاً، ويجب عليهم إعادتها إلى الإدارة فور انتهاء فورة الرياضة.

وعلى الرغم من أنّ الناظر إلى قضيّة ممارسة الرياضة يجد أنّها قضيّة بسيطة، إلّا أنّ إدارة مصلحة السجون تتمكّن دائماً من التنغيص على الأسرى في هذه المساحة الضيّقة جدّاً، فعلى سبيل المثال لا يُسمح للأسرى بممارسة رياضة نطّ الحبلة يومَي الجمعة والسبت، ويأتي هذا تحت ذريعة أنّ الإدارة تكون خلال هذين اليومين في إجازة، وبالتالي في حال تعرّض أيّ أسير لإصابة فإنّ من الصعب جدّاً على الإدارة أن تقوم بنقله إلى المشفى. هذا ويتسبّب صغر حجم الساحة بشكل عام بعدد من الإشكاليّات الصحّيّة للأسرى، حيث يعاني عدد منهم من مشاكل في المفاصل ناجمة عن ممارسة الرياضة والركض في مساحة ضيّقة.

[41] نصّ بعنوان من ذكريات السجن ولعبة النسمات، منشور في مجلة الدراسات الفلسطينيّة، مرجع سبق ذكره.

أحلام على ألواح من الحديد

تُصنع الأبراش الموجودة في سجن عوفر بشكل أساسيّ من الحديد، وتكون على طابقين حيث يوجد في طرف كلّ برش سُلّم صغير يتمّ استخدامه حتى يتمكّن الأسير من الصعود إلى البرش العلويّ. ويغطّي كلّ برش لوح مصنوع من الصاج أو الحديد كأرضيّة سفليّة للفرشة، حيث تهترئ هذه الألواح الصاجيّة نتيجة الاستخدام الدائم لها، ونتيجة لاختلاف بنيان الأسرى الذين ينامون عليها؛ الأمر الذي يغيّر من شكل الألواح لتصبح أقرب إلى شكل جسم الأسير الذي نام عليها لفترة أطول. وتتسبّب هذه الأبراش بالعديد من الإشكاليّات للأسرى، كصوت صريرها الدائم والمزعج للأسرى المتواجدين، وتسبّب هذه الألواح الحديديّة البرد الشديد للأسرى أثناء النوم خلال فصل الشتاء، خاصّة في ظلّ اهتراء الفرشات التي ينام عليها الأسرى التي لا يتجاوز ارتفاعها (خملها) في أحسن الأحوال 2 سم. وتكون مساحة البرش تقريباً 180×50 سم.

> الشتاء في السجن بارد، وسُبل التدفئة محدودة. كنا ثمانية أسرى نتجمّع حول الروديتر (المدفأة)، ولم يكن ذلك مجدياً؛ لذلك كنا نستخدم المدفأة لتسخين جواربنا وارتدائها فوراً، وذلك حتى نحاول تنشيط الدورة الدمويّة في أقدامنا المتجمّدة.
>
> حافظ عمر

يقول أيمن ناصر: "أنا كأسير أعاني من الديسك وآلام الظهر، وطوال فترة اعتقالي كنت أشعر بشكل دائم بهذه الآلام نتيجة النوم غير المريح على هذه الفرشات. في بعض الأحيان كنت أجد "جومي" وهي لوح بلاستيك مقوّى يتمّ وضعه على السرير بهدف مساعدة الأشخاص الذين يعانون من أوجاع في الظهر، ولكن المشكلة في هذه الألواح أنّه لا يوجد عدد كبير منها في السجون، بل 1 أو 2 في كلّ قسم، وعادة يتمّ تخصيصها للحالات التي تعاني من أوجاع كبيرة. وما يزيد الوضع سوءاً هو رفض إدارة مصلحة السجون إحضار المزيد من هذه الألواح، أو حتّى استبدال ما يهترئ منها بألواح جديدة".

البشكير... أداة تزعزع أمن مصلحة السجون

تفرض حياة المعتقلات في الكثير من الأحيان على المعتقلين ابتكار وسائل وبدائل لغايات تسهيل تواجد عدد كبير من الأسرى في مكان واحد، ومحاولة تجاوز أيّ اختلافات ثقافيّة، أو اختلاف في الممارسات اليوميّة. ومن أبسط الممارسات التي قد تتسبّب بإشكاليّات في السجون هي قضيّة مشاهدة التلفاز، أو قضيّة القراءة خلال ساعات الليل، حيث تتسبّب إنارة التلفاز أو وحدات الإنارة الصغيرة التي يستخدمها الأسرى للقراءة خلال ساعات الليل ازعاجاً لبعض الأسرى الذين يفضّلون النوم باكراً. وحاول بعض الأسرى وضع بشكير أو منشفة على الجهة المفتوحة من أبراشهم؛ وذلك لغايات حجب أو تقليل إمكانيّة إزعاج الإنارة لهم أثناء النوم.

وساعد هذا عدداً كبيراً من الأسرى، إلّا أنّ إدارة مصلحة السجون وفور ملاحظتها ذلك منعت الأسرى من استخدام المناشف أو البشاكير بحجّة أنّ وجود البشكير يمنع السجّانين من التأكّد من وجود الأسير في سريره خلال ساعات الليل،[42] حيث يقوم السجّانون بفحص دوريّ كلّ نصف ساعة للتأكّد من وجود الأسرى في زنازينهم، وذلك عبر إنارة مصباح يدويّ من باب الزنزانة، وتوجيه الإنارة إلى سرير كلّ معتقل، والتأكّد من وجوده. وقد تكون مثل هذه التفاصيل الحياتيّة صغيرة جدّاً، أو حتّى هامشيّة في بعض الأحيان، إلّا أنّ وجود الإنسان في مساحة ضيّقة جدّاً مع عدد كبير من المعتقلين، يحوّلها من تفاصيل هامشيّة إلى محاور حياتيّة أساسيّة.

داروين السياسيّ

تحاول دولة الاحتلال التحكّم بأبسط التفاصيل الحياتيّة للأسرى، وتبرز هذه القضيّة في الكثير من الأحيان بمحاولة الاحتلال الدائمة لعرقلة العمليّة التعليميّة في السجون، وتأخير ومنع دخول عدد كبير من الكتب إلى السجون، واشتراط إخراج كتاب مقابل إدخال أيّ كتاب جديد إلى السجن. ومن القصص الطريفة التي استذكرها أحد الأسرى في هذا السياق كانت قصّة أحد الأسرى الموجودين في سجن عوفر الذي كان يريد قراءة كتاب "نظريّة التطوّر" لتشارلز داروين، وحاول مراراً إدخال الكتاب عن طريق زيارات العائلات، إلّا أنّ الإدارة في كلّ مرّة كانت ترفض إدخال الكتاب. بعد فشل محاولات عدّة، حاول الأسير الاستفهام من إدارة السجن سبب رفض إدخال الكتاب، فكانت الإجابة بأنّ رفض إدخال الكتاب "لضرورات أمنيّة"!. تُجسّد مثل هذه الممارسات تعنُّت دولة الاحتلال، وعدم منطقيّة أيّ من ممارساتها، فما هي الضرورات الأمنيّة التي من الممكن أن يثيرها كتاب نظريّة التطوّر؟

مطابخ السجون

منذ عام 2019، أعادت إدارة سجن عوفر المطبخ إلى الأسرى الأمنيّين، وكان ذلك بشكل أساسيّ لتقليص التكلفة الماليّة التي يتمّ إنفاقها على الطهاة، والمعتقلين الجنائيّين الذين يتمّ دفع مبالغ معيّنة لهم لقاء عملهم. ويتمّ بالعادة توزيع الوجبات على الأسرى من خلال استخدام عربات نقل، يتم وضع الوجبات عليها وتنقل إلى الأقسام والغرف، حيث يتواجد في كلّ قسم تقريباً 7 أسرى يعملون على توزيع الوجبات، ويتواجد في كلّ غرفة أسير يعمل بشكل أساسيّ على موضوع الطبخ، وإعادة تحسين الطعام في

[42] يُذكر أنّ إدارة مصلحة السجون قامت بمعاقبة عدد من الأسرى على استمرارهم بوضع المناشف والبشاكير إلّا أن تمّ وقف استخدام هذه الحيلة.

حال لم يكن جاهزاً بشكل كامل. وتمنع إدارة السجن دخول عدد من الأصناف إلى الأسرى، وتشترط في بعض الأحيان دخول بعض الأصناف فقط بعد طهيها، كالبطاطا والباذنجان، حيث تحتجّ إدارة السجون بأنّ هذه الأصناف قاسية، وبالتالي من الممكن أن يتمّ تهريب بعض الموادّ فيها. ولا يمكن للناظر إلّا أن يرى هذه التصرّفات على أنّها تنكيل بالأسرى، ومحاولة دائمة لاستفزازهم حيث إنّه من غير الممكن أن يقوم الأسرى بتهريب أيّ شيء في مثل هذه الأصناف، وذلك لأنّ جميع المواد الغذائيّة تخضع للفحص قبل دخولها إلى السجن، وعند خروجها من المطبخ.

الكانتينا

تكون غرفة الكانتينا في سجن عوفر أشبه بغرفة عاديّة من غرف الأسرى، ويتمّ وضع بعض الرفوف المعدنيّة فيها، حيث يتمّ وضع الأصناف التي يُسمح بإدخالها وشرائها على هذه الرفوف. وتتمّ عمليّة الشراء من الكانتينا من قائمة يقوم الأسرى المسؤولون عن الكانتينا بإعدادها، وتحتوي هذه القائمة على الأصناف الموجودة في الكانتينا كافّة التي يُسمح بإدخالها إلى السجن، وبناء عليها يقوم الأسرى بالطلبيّات. يُذكر أنّه في بعض الأحيان يجب على الأسرى طلب بعض الموادّ بشكل مسبق؛ لأنّها تحتاج إلى فترة طويلة حتّى يتمّ إحضارها.

العدد

يتمّ العدد في سجن عوفر كغيره من السجون مرّة خلال فترة الصباح، وأخرى خلال الظهيرة، ومرّة أخيرة قبل إغلاق الأقسام، حيث يجري العدد الصباحيّ على سبيل المثال الساعة الخامسة أو الخامسة والنصف صباحاً، ويستمرّ ما بين ساعة ونصف إلى ساعتين، وتبرز الإشكاليّة في هذا الموضوع أنّه طوال هذه المدّة لا يمكن للأسرى القيام بشيء فلا يمكن للأسير الاستحمام، أو الخروج إلى ساحة الفورة بعد أن يتمّ النداء على اسمه، أو البدء بممارسة الرياضة، أو غيره؛ الأمر الذي يعني إيقاف حياة الأسير طوال فترة العدد. وممّا يجدر الانتباه إليه في هذا السياق، هو أنّ الطاقم الذي يقوم بعدّ الأسرى هو طاقم واحد، بمعنى أنّه إذا كان هناك 3 سجّانين هم مَن يقومون بعدّ الأسرى، فهم ذاتهم مَن يقومون بالعد بدءاً من القسم الأوّل وصولاً إلى القسم الأخير من السجن؛ أيّ أنّ السجين المتواجد في القسم 11 عليه أن ينتظر انتهاء العدد في القسم 22 حتّى يتمكّن من العودة إلى حياته الطبيعيّة.

منغصّات شبه يوميّة

يقوم الأسرى داخل السجون ببناء نظام حياتيّ معيّن، يقوم على ترتيب غرفهم بشكل دائم، والمحافظة على نظافتها، وإنشاء المكتبات، والمحافظة على نظام قراءة، وجلسات يكون الهدف منهما مجابهة سياسة الاحتلال القائمة على تجهيل الأسرى، وحرمانهم من أبسط حقوقهم.

في السجن، ينظر السجّانون إليك على أنّك مجرم، وعليه، أنت لا تستحقّ أن تحتفل أو تفرح. لا يحقّ لك خلال تواجدك داخل جدران المعتقل أن تحتفل بعيد، أو حتّى أن تصيح فرحاً عقب إدخال فريقك الرياضيّ هدفاً في مرمى الآخر.

حافظ عمر

وضمن إطار سياسة الاحتلال الدائمة في التنكيل بالأسرى الفلسطينيّين، تقوم إدارة السجون وقوّات القمع باقتحامات دوريّة ومفاجئة للأقسام، حيث تجري بعض عمليّات التفتيش دوريّاً للأقسام، ويكون الهدف منها تفتيشات عامّة، ومصادرة لأيّ ممنوعات تجدها الإدارة، مثل: الكتب التعليميّة، أو أيّ بلاطة إضافيّة أو غيرها. وتتسبّب إدارة السجن، أو قوّات القمع خلال هذه الاقتحامات إلى تخريب ممتلكات الأسرى، وخاصّة عندما تكون التفتيشات من قوّات القمع. يقول حافظ عمر في هذا السياق: كأسير متواجد في السجن، تحاول دائماً خلق نظام معيّن، مثل ترتيب الغرفة وتنظيفها، ولكن دخول الإدارة للتفتيشات دائماً ما ينتهك ذلك، حيث تقوم القوّات ببعثرة أغراض المعتقلين، والعبث بملابسهم والطعام الموجود وأيّ مقتنيات شخصيّة، مثل: الكتب، والدفاتر، والصور وغيرها. وقد يحتاج الأسير إلى يوم كامل عقب عمليّة تفتيش لإعادة ترتيب الغرفة بشكل كامل، وفي بعض الأحيان قد يحتاج إلى أكثر من يوم، فعلى سبيل المثال تقوم القوّات في بعض الأحيان بخلط الطعام الموجود من: زيت، وطحين، وغيره مع الملابس، وأجهزة المذياع، والانارة الموجودة لدى الأسرى؛ الأمر الذي يتسبّب بتلف بعض الأجهزة، وبعض الملابس والمقتنيات وغيرها، ويصبح الموضوع مؤلماً أكثر عندما يتمّ تخريب أو مصادرة بعض الموادّ غير القابلة للتعويض، مثل كتابات الأسرى.

وتتحكّم إدارة السجون بأصغر التفاصيل اليوميّة للأسير حيث تتحكّم على سبيل المثال بالأماكن التي يجوز للأسير تعليق صور عائلته فيها، وطبيعة هذه الصور، وعلى الرغم من أنّ هذه القضيّة يمكن أن تكون بسيطة إلّا أنّ حرمان الأسير من الصور العائليّة، أو التحكّم بمكان وجودها هو بشكل أساسيّ لضرب موضوع الإرادة وزيادة مفهوم السيطرة على الأسير، فأحد سبل التعامل مع الأحداث لدى الإنسان الطبيعيّ هو وجود إحساس لديه بالسيطرة على الموقف، وقدرة على التحكُّم بالتفاصيل الصغيرة المرتبطة به، وبالتالي المحاولات الدائمة من الإدارة لتجريد الأسرى من سيطرتهم على أبسط التفاصيل اليوميّة هو لضرب هذه المفاصل لدى الأسرى، وإشعار الأسير بأنّ كلّ ما لديه من الممكن أن يتمّ سحبه منه في أيّ وقت.[43]

[43] يُذكر أنّ إدارة مصلحة السجون تسمح للعائلات بإدخال صور للأسرى بين الفينة والأخرى، إلّا أنّها تشترط عدداً محدّداً من الصور التي يجوز إدخالها، وتمنع في بعض الأحيان إدخال بعض الصور بحجّة أنّها مأخوذة في مناطق أمنيّة، أو أنّها تحتوي على صور لشهداء، أو غيرها من الأسباب التي تتذرّع بها دولة الاحتلال.

كان أوس (الطفل الصغير) يحمل في يده صورة له مع والده آسر، وأخبرني أنّه سيدخلها إلى السجن من خلال الزيارة، وعندما دقّقت النظر في الصورة لاحظت كأنّها ليست حقيقيّة وكأنّ فيها نوعاً من الفوتوشوب، وعندما سألت عن ذلك أجابتني زوجة آسر أنّها فعلاً كذلك، إذ لا يسمح الاحتلال بالتقاط صور تذكاريّة للأسرى مع ذويهم أو أبنائهم وزوجاتهم.. لذلك هي تقوم دوماً، وبناءً على طلب آسر، بعمل فوتوشوب لصورة له مع ابنه أوس يبدو فيها كأنه يحتضنه، كي يشعر ولو للحظات خادعة أنّه فعلاً يحتضنه، وقادر على تقبيله.

رأفت العسعوس[44]

ما بين المفرقعات الناريّة وقنابل الغاز..

يقع سجن عوفر في منطقة بيتونيا بالقرب من منطقة رام الله من جهة، ومن جهة أخرى يقع السجن بالقرب من حاجز رئيسيّ يفصل ما بين الضفّة والقدس، وبالتالي فإنّه يقع في منطقة حيويّة تفرض نوعاً من الخصوصيّة للعيش فيه، حيث أشار عدد من الأسرى إلى أنّهم خلال فترة تواجدهم في سجن عوفر تمكّنوا في الكثير من الأحيان من سماع أصوات السيّارات، وكثيراً ما كانوا يستمعون إلى صوت بعض سباقات الدراجات الناريّة والسيّارات العاديّة، وكثيراً ما كانوا يحاولون التنبّؤ بنوعيّة هذه السيّارات، أو الدرّاجات، وفي أحيان أخرى كانوا يستمعون إلى صوت المفرقعات الناريّة في حال وجود حفل زفاف في منطقة قريبة، وصولاً إلى شمّ رائحة الغاز في حال وجود مسيرة تضامنيّة أمام باب المعتقل. وتُشعر مثل هذه الخصوصيّة المعتقلين بأنّهم قريبون إلى الحياة والمجتمع، وهو فارق جسيم ما بين الحياة في مكان مثل سجن عوفر ومكان آخر معزول تماماً، كسجون الجنوب الموجودة في أوساط صحراء قاحلة.

45 دقيقة من الحرّيّة

وثّقت مؤسّسة الضمير تفاصيل إجراءات زيارات الأهالي للمعتقلين في سجن عوفر، حيث أشار المعتقلون إلى أنّه قبل يوم أو يومين من موعد زيارات الأهالي يتمّ إعلام الأسرى ممّن لديهم زيارات، ويوم الزيارة صباحاً، يتمّ جمع المعتقلين، والتأكّد من أنّ جميع الأسرى مرتدون زي الشاباص -باستثناء الأسرى الإداريّين الذين يجوز لهم ارتداء الملابس العاديّة التي سمحت إدارة السجن بإدخالها-. عقب هذه الإجراءات، يتمّ تفتيش الأسرى بواسطة ماكينات التفتيش، ومن ثمّ يتمّ تقييدهم من اليدين

[44] نصّ بعنوان الأم التي أخفت مرضها كي يفرح قلب ابنها الأسير لرأفت العسعوس، منشور بتاريخ 2021/12/9، مجلّة الدراسات الفلسطينيّة، متوفّر عبر الرابط الآتي:
https://www.palestine-studies.org/ar/node/1652134.

والرجلين، وإخراجهم مشياً إلى غرفة الزيارة عبر ممرّات داخليّة مسقوفة من كلّ الجهات بالصاج.

يجلس الأسرى خلال فترة الزيارة في غرفة مستطيلة الشكل تحتوي على 41 مقعداً، موزعّة على جهتين من الغرفة، ويكون أمام كلّ أسير لوح زجاجيّ عازل للصوت، وسمّاعة هاتف يتمّ استخدامها للحديث مع العائلات التي تكون على الطرف الآخر من الغرفة، ويجوز لكلّ أسير أن يزوره ثلاثة من أفراد العائلة. ولا توجد مسافة فاصلة ما بين كلّ مقعد وآخر؛ الأمر الذي يتسبّب بإزعاج الأسرى وعائلاتهم، ولا يمكّنهم في الكثير من الأحيان من سماع حوارهم مع عائلاتهم، حيث يتواجد أكثر من 40 شخصاً في الغرفة، ويقابلهم ما يزيد عن 80 شخصاً آخر، وجميعهم يتحدّثون بالوقت ذاته، هذا عدا عن عدم تمكُّن الأسير من الشعور بأيّ خصوصيّة، فلا يمكن للأسير التحدّث بأيّ قضايا عائليّة أو خاصّة في ظلّ سماع جميع هؤلاء الأشخاص للمحادثة.

ويروي محمّد خلف في هذا السياق ما يجري خلال فترة الزيارة قائلاً: تبدأ طقوس الأسرى فور إعلام الأسير بأنّ اسمه مدرج على قائمة الزوّار، حيث ينهض الأسير باكراً ليتجهّز ويستحمّ ويحلق وجهه ويرتدي ملابس الشاباص التي يحرص قبل يوم على غسلها وكيّها لتكون بأفضل حال خلال الزيارة. ويشير خلف إلى إحدى أبرز سياسات الاحتلال القاهرة، فيقول: يصنّف السجّانون قائمة الزوّار ما بين فئة (أ) وفئة (ب)، ليتعاملوا مع هذه المسألة كأنّ البشر مثل الخضراوات والفواكه، فلا ندري كيف يُتّخذ القرار بأنّ هذا الأسير سيُتاح له بزيارة حفيده أو حفيدته بينما يحظر على غيره هذا الحقّ، وكما يقول المثل في هذه الحالة " شرّ البليّة ما يُضحك." علاوة على ذلك تسمح إدارات السجون بزيارة الجدّ لحفيده الأسير، إلّا أنّها في الوقت ذاته تمنع الحفيد من زيارة جدّه الأسير. وهذا من عجائب القمع والعنصريّة التي تنتهجها إدارات السجون ضدّ أسرى الحرّيّة. [45]

[45] يعن طقوس الزيارة وعناق الأحفاد المؤجّل، محمد خلف، منشور في مجلة الدراسات الفلسطينيّة، 2020/7/29، متوفّر عبر الرابط الآتي:
https://www.palestine-studies.org/ar/node/1650424.

سرعان ما يواجه الأهل والأحبّة القادمين للزيارة حاجز زجاجيّ ونفسيّ ؛ هذا الحاجز الذي يحول دون لمس من انتظروا طويلاً من أجل الزيارة، وفي هذه الحالة يضطرّ الطرفان إلى الاكتفاء بالمحادثة عن طريق جهاز الهاتف المعلّق حيث يجلس الطرفان، وكثيراً ما يكون بعض الأجهزة معطوباً وغير صالح للاستعمال، وهو ما يسبّب إزعاجاً وتشويشات متواصلة وهدراً كبيراً للوقت القليل والقصير الذي يحظى به الأسير وأحباؤه للقاء بعضهم البعض.

محمد خلف

صورة توضّح شكل غرف زيارات الأهالي [46]

[46] صورة متداول عبر موقع الرسالة

مخطط مسقط أفقي غرفة – سجن عوفر

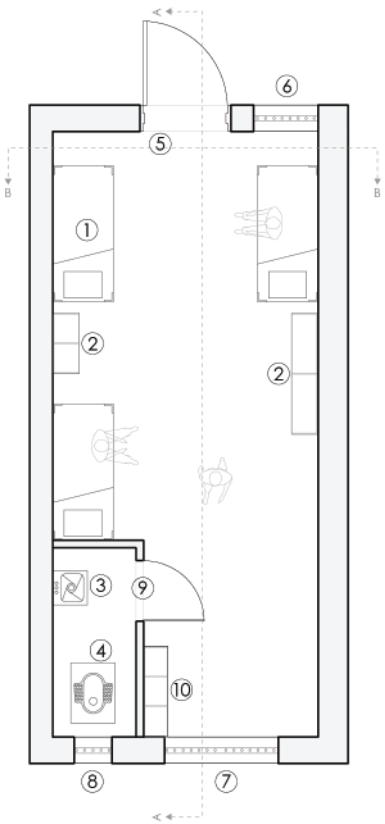

1:100

1. سرير طابقين (برش) أبعاد 180سم * 80 سم
2. خزائن معدنية من وحدات متكررة 40سم * 40سم
3. مغسلة صغيرة أبعاد 50 سم * 30 سم
4. مرحاض أرضي «عربي» معدني
5. باب معدني سماكة 10 سم مع شباك وقضبان أبعاد 40سم *30 سم وفتحة «أشناف»
6. شباك مع قضبان وشبك أبعاد 80 سم * 100 سم
7. شباك مع قضبان وشبك أبعاد 150 سم * 100 سم
8. شباك مع قضبان وشبك أبعاد 50 سم * 80 سم
9. باب حمام سماكة 1 سم من ألمونيوم خفيف
10. خزائن معدنية لتخزين المواد الغذائية، على سطحها يوضح سخان الماء «قمقم» وطباخ كهربائي «بلاطة»

مخطط مسقط عمودي في غرفة – سجن عوفر

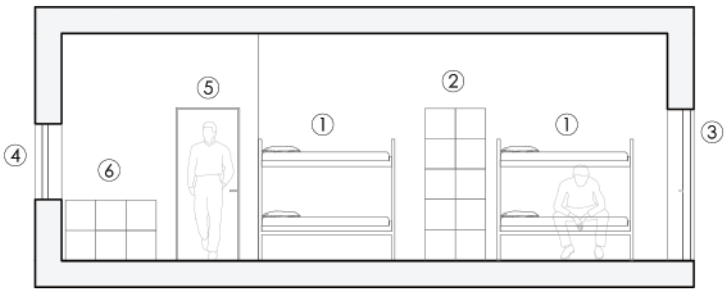

مقطع A-A

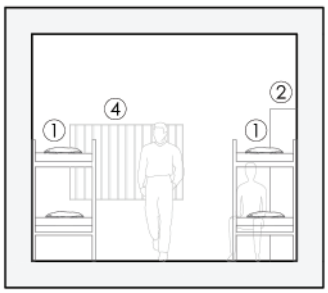

مقطع B-B

1:100

0 1m 2m 3m 4m 5m

1. سرير طابقين (برش) أبعاد 180سم * 80 سم
2. خزائن معدنية من وحدات متكررة 40 سم * 40 سم
3. باب معدني سماكة 10 سم مع شباك وقضبان أبعاد 40سم *30 سم وفتحة «أشناف»
4. شباك مع قضبان وشبك أبعاد 150 سم * 100 سم
5. باب حمام سماكة 1 سم من ألمونيوم خفيف
6. خزائن معدنية لتخزين المواد الغذائية، على سطحها يوضح سخان الماء «قمقم» وطباخ كهربائي «بلاطة»

مخطط مسقط أفقي في قسم – سجن عوفر

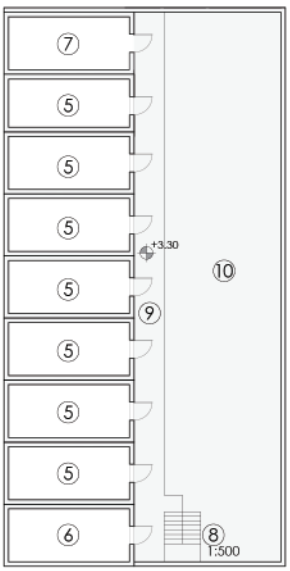

1:500 الطابق العلوي

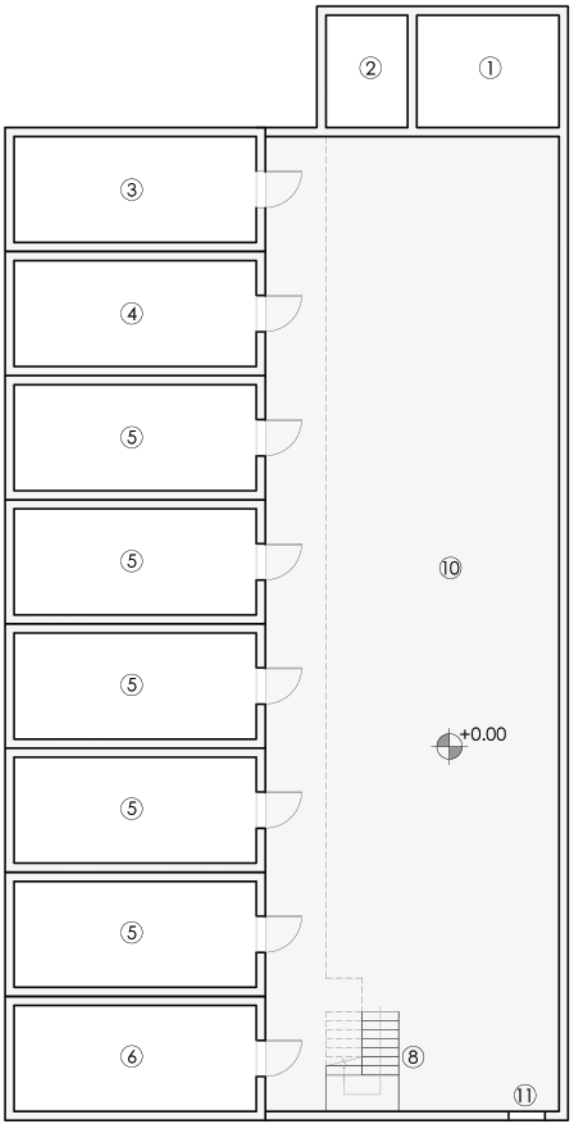

1:250 الطابق الارضي

0 1m 2m 3m 4m 5m

1. غرفة مراقبة السجانين
2. مدخل القسم
3. الكانتينة
4. مغسلة الثياب + مكتبة القسم
5. غرفة أسر
6. شاورات استحمام للقسم
7. مكتبة ومخزن
8. درج معدني للصعود للغرف العلوية للقسم
9. جسر معدني للوصول للغرف العلوية للقسم
10. ساحة القسم 15 م × 9 م مغطاة من الأعلى بشبك معدني
11. باب أمني

* المعايير الدوليّة الناظمة لبيئات الاحتجاز

* النتائج

مؤسسة الضمير لرعاية الاسرى وحقوق الانسان

المعايير الدوليّة الناظمة لبيئات الاحتجاز

شكّل الإعلان العالميّ لحقوق الإنسان اللبنة الأساسيّة للكثير من المبادئ الإنسانيّة والحقوق، فنصّ على أنّ جميع الناس متساوون في الكرامة والحقوق، وأنّه لا يجوز إخضاع أيّ شخص للتعذيب، أو المعاملة اللاإنسانيّة، أو الحاطّة بالكرامة،[47] وأكّدت المواثيق الدوليّة التالية للإعلان على الأساس ذاته، كالعهد الدوليّ الخاصّ بالحقوق المدنيّة والسياسيّة،[48] واتّفاقيّة مناهضة التعذيب، وغيره من ضروب المعاملة، أو العقوبة القاسية، أو اللاإنسانيّة، أو المهينة،[49] واتّفاقيّة جنيف الرابعة،[50] ومن جهة أخرى جاءت بعض المواثيق الدوليّة المتخصصّة التي تناولت قضيّة الأشخاص المحرومين من حرّيّتهم كمجموعة المبادئ المتعلّقة بحماية جميع الأشخاص الذين يتعرّضون لأيّ شكل من أشكال الاحتجاز أو السجن،[51] والقواعد النموذجية الدنيا لمعاملة السجناء (قواعد مانديلا)[52] لتؤكّد على السياق ذاته من أهمّيّة احترام حقوق الإنسان، وعدم تجريد المعتقلين من حقوقهم.[53]

ولم تضع مختلف هذه الوثائق معايير ثابتة وواضحة ومحدّدة لهندسة بناء السجون ومعاييرها، إلّا أنّها وضعت عدداً من الأسس التي يجب مراعاتها، وحفظها للمعتقلين، والبيئات التي يتمّ احتجازهم بها. فعلى سبيل المثال نصّت قواعد مانديلا في القسم الخاصّ بمعايير أماكن الاحتجاز على أنّه: "توفّرَ لجميع الغرف المعدّة لاستخدام المسجونين، ولا سيّما حجرات النوم ليلاً، جميع المتطلّبات الصحّيّة مع الحرص على مراعاة الظروف المناخيّة خصوصاً من حيث حجم الهواء والمساحة الدنيا المخصّصة لكلّ سجين، والإضاءة والتدفئة والتهوية".[54] وأكّدت أهمّيّة اتّساع النوافذ الموجودة في غرف المعتقلين والمسجونين، بحيث يصبح من الممكن عليهم استخدام الإضاءة الطبيعيّة لغايات القراءة والعمل، وأن تكون هذه النوافذ مركّبة على نحو يسمح بدخول الهواء الطبيعي.[55]

[47] انظر ديباجة الإعلان العالميّ لحقوق الإنسان، والمادّة 1 والمادة 5 منه.

[48] انظر المادّة 7 من العهد الدوليّ الخاصّ بالحقوق المدنيّة والسياسيّة.

[49] انظر ديباجة اتّفاقيّة مناهضة التعذيب وغيره من ضروب المعاملة، أو العقوبة القاسية، أو اللاإنسانيّة، أو المهينة. والمادّة 2 منها.

[50] انظر المادّة 85 من اتّفاقيّة جنيف الرابعة.

[51] انظر المبدأ رقم 1 من المبادئ المتعلّقة بحماية جميع الأشخاص الذين يتعرّضون لأيّ شكل من أشكال الاحتجاز أو السجن.

[52] انظر المبدأ رقم 1 من القواعد النموذجيّة الدنيا لمعاملة السجناء (قواعد مانديلا).

[53] للمزيد انظر حقوق الإنسان والسجون: كتاب جيب عن المعايير الدوليّة لحقوق الإنسان لأجل مسؤولي السجون، مفوضيّة الأمم المتّحدة لحقوق الإنسان، نيويورك وجنيف، 2004.

[54] انظر المبدأ رقم 10 من القواعد النموذجيّة الدنيا لمعاملة السجناء (قواعد مانديلا).

[55] انظر المبدأ رقم 11/أ و ب من القواعد النموذجيّة الدنيا لمعاملة السجناء (قواعد مانديلا).

ولم تكن فقط هندسة المكان العامّة هي الإطار الوحيد الذي تناولته قواعد مانديلا، حيث تناولت أيضاً بعض الأمور المرافقة كأهمّيّة توفير سرير لكلّ سجين، وتزويده بلوازم السرير على أن تكون نظيفة، وأن يتمّ استبدالها في مواعيد متقاربة،[56] وكذلك تناولت قضيّة المراحيض، وأهمّيّة توافرها بعدد كاف،[57] وضرورة أن تقوم الإدارة بتزويد المعتقلين بوجبات طعام ذات قيمة غذائيّة كافية وجيّدة النوعيّة.[58] وكفلت للمعتقلين الحقّ في الاطّلاع على مجرى الأحداث في الصحف اليوميّة، أو الدوريّة، أو...، وبالاستماع إلى محطّات الإذاعة، أو أيّة وسيلة مماثلة،[59] واحتفظت بحقّهم في الحصول على مكتبة تحتوي على قدر وافٍ من الكتب الثقافيّة والترفيهيّة.[60]

ونصّت المادّة 51 من التقرير العام الثاني بشأن أنشطة اللجنة الأوروبيّة لمنع التعذيب على أنّه من بين الأمور شديدة الأهميّة هي قضيّة إتاحة قدر معقول من الاتّصال ما بين السجين والعالم الخارجيّ، وعلى وجه الخصوص توفير سبل تضمن استمرار علاقة السجين مع أسرته وأصدقائه المقرّبين، وعليه، فإنّ أيّ قيود على عمليّة الاتّصال بالعالم الخارجيّ لا ينبغي أن تكون إلّا بناء على اعتبارات أمنيّة ذات أهمّيّة، أو ذات صلة بالموارد.

على الرغم من مختلف هذه النصوص، إلّا أنّ ممارسات الاحتلال تتعارض بشكل شبه كامل مع هذه القواعد، فحتّى يومنا هذا، وعلى الرغم من صدور قرار من المحكمة العليا الإسرائيليّة يقضي بإلزام مصلحة السجون بتوسعة السجون، وتقليص عدد الأسرى في الغرف، بحيث تصبح المساحة المخصّصة لكلّ أسير 4.5 متر، بما يشمل مساحة الحمّام، إلّا أنّ دولة الاحتلال وحتّى يومنا هذا لم تنجح في تطبيق هذا في السجون كافّة، حيث إنّها عملت على تخفيض عدد الأسرى في معظم السجون ولكنّها حتّى اليوم لم تُنهِ هذه العمليّة.

[56] انظر المبدأ رقم 19 القواعد النموذجيّة الدنيا لمعاملة السجناء (قواعد مانديلا).

[57] يذكر أنّ المادّة 31 من التقرير العام رقم 10 للجنة الأوروبيّة لمنع التعذيب نصّ على أنّ: "يجب تلبية احتياجات النساء الصحّيّة الخاصّة على نحو كاف. ومن الأمور التي تحظى بأهمّيّة خاصّة إمكانيّة الذهاب إلى المرافق الصحّيّة، ومنشآت الاغتسال عند الحاجة، وتوفير ترتيبات آمنة للتخلّص من الأدوات التي بها بقع دماء، وتوفير أدوات صحّيّة، مثل الفوط الصحّيّة ويمكن أن يؤدّي العجز عن توفير المتطلّبات الأساسيّة في حدّ ذاته إلى تفاقم المعاملة المهينة". ويتعارض هذا بشكل واضح مع ممارسات دولة الاحتلال، حيث تُحرم الأسيرات في الكثير من الأحيان من استخدام الدوشات في الأوقات اللاتي يحتجن إليها، وذلك بسبب تواجد أماكن الاستحمام خارج الغرف، وبالتالي فور إغلاق الأقسام يصبح من غير الممكن لهنّ استخدامها.

[58] انظر المبدأ رقم 1/20 من القواعد النموذجيّة الدنيا لمعاملة السجناء (قواعد مانديلا).

[59] انظر المبدأ رقم 39 من القواعد النموذجية الدنيا لمعاملة السجناء (قواعد مانديلا).

[60] انظر المبدأ رقم 40 من القواعد النموذجيّة الدنيا لمعاملة السجناء (قواعد مانديلا).

ويؤكّد عدد كبير من الأسرى أنّ هذه الغرف التي يتمّ احتجازهم فيها تفتقر إلى الاستخدام الآدميّ، فكما سبق وأشرنا خلال هذه الدراسة، تفتقر الغرف التي يتمّ وضع الأسرى فيها إلى سبل التهوية، وفي الكثير من الأحيان تتحوّل هذه النوافذ إلى سبيل للحشرات والقوارض لتدخل إلى غرف الأسرى.[61]

ومن جهة أخرى، عملت دولة الاحتلال مع إدارة مصلحة السجون منذ سنوات على تحويل جزء كبير من حقوق الأسرى إلى حقوق مدفوعة الثمن، حيث تتنصّل دولة الاحتلال من التزاماتها تجاه الأسرى بتوفير أغطية الفرشات، والبطانيّات، والمخدّات، والمراوح، وأحذية السجن وغيرها، وتحوّلها إلى سلع يمكن للأسرى شراؤها من كانتينا السجن بأسعار مضاعفة، وعليه تحوّل إدارة السجون كامل هذا العبء إلى عائلات الأسرى والمعتقلين.[62] وأحد الأمثلة الأخرى التي يمكن ضربها في هذا السياق هو الأغذية التي يتمّ توفيرها للأسرى، حيث توفّر إدارة السجن للأسرى وجبات الطعام، إلّا أنّ طبيعة طهي هذه الأطعمة، ونوعيّتها وكميّتها في بعض الأحيان لا تكون كافية؛ الأمر الذي يدفع الأسرى بشكل عام إلى تجميع وجبات الطعام بشكل جماعيّ، وإضافة بعض الموادّ الغذائيّة الإضافيّة التي يتم شراؤها من كانتينا السجن، وإعادة طهي الطعام مرّة أخرى لغايات تجاوز مثل هذه الإشكاليّات.

[61] للمزيد حول قرار المحكمة العليا بخصوص المساحة انظر تقرير انتهاكات حقوق الأسيرات والأسرى في سجون الاحتلال للعام 2018. مؤسّسة الضمير لرعاية الأسير وحقوق الإنسان، متوفّر عبر الرابط الآتي:
https://www.addameer.org/sites/default/files/publications/tqryr_lnthkt_d2019-9-2_12.pdf.

[62] للمزيد انظر دراسة مؤسّسة الضمير بخصوص الاستغلال الاقتصاديّ للأسرى الفلسطينيّين في سجون الاحتلال الإسرائيليّ، متوفّر عبر الرابط https://bit.ly/30ihKzQ.

النتائج

- أبقت دولة الاحتلال منذ احتلالها الأراضي الفلسطينيّة على السجون التي كانت موجودة منذ زمن الانتداب البريطانيّ، وعلى الرغم من قدم هذه المباني واهترائها إلّا أنّ دولة الاحتلال أبقت عليها، لا بل واستخدمتها أماكن احتجاز للفلسطينيّين، ولا زالت حتّى يومنا هذا. وعلى سبيل المثال فهي تستخدم سجن الدامون مكاناً لاحتجاز الأسيرات والأسرى الأطفال.

- لا تستثني منظومة الاحتلال الأسرى الفلسطينيّين من ممارساتها المختلفة، حيث يتكامل عمل مختلف أجهزة دولة الاحتلال في استهدافها الفلسطينيّين أينما كانوا، فتعمد دولة الاحتلال إلى وضع الأسرى في سجون تفتقر إلى أبسط مقوّمات الحياة الآدميّة، فعلى سبيل المثال تقبع الأسيرات والأسرى الأشبال في سجن الدامون الذي بُني قبل ما يزيد عن 65 عاماً اسطبلاً للخيول، ومخزناً للتبغ، ويعيش الأسرى في سجن النقب في خيم وكرفانات ووحدات خرسانيّة جميعها تشبه الأفران بسبب وجود السجن في وسط الصحراء، وبسبب طبيعة هذه الخيم والكرفانات التي تزيد من احتباس الحرارة داخلها، ولا يختلف الحال بشكل كبير عن بقيّة السجون، حيث يعيش الأسرى في أيّ سجن من سجون الاحتلال في ظروف قاسية ومجحفة.

- تتسّبب طبيعة الأماكن التي يُحتجز الأسرى فيها، التي تنعدم فيها سبل التهوية الصحّيّة، والإنارة الكافية، وعدم دخول الشمس إلى الغرف، أو الفورة بشكل كاف، وصغر المساحة التي يمكن للأسرى ممارسة الرياضة فيها، وقصر أفق النظر إلى إصابة الكثير من الأسرى بأمراض وأوجاع في المفاصل، والنظر، وأمراض تنفسيّة وجلديّة.

- تُعرقل سياسات الاحتلال المختلفة حياة الأسرى اليوميّة داخل السجن، حيث يدخل السجّانون إلى الغرف 5 مرّات يوميّاً لغايات العدد، أو دقّ الشبابيك، أو التفتيشات الروتينيّة أو المفاجئة؛ الأمر الذي لا يسمح للأسرى باعتماد روتين حياتيّ ثابت، ويعرقل في الكثير من الأحيان نشاطاتهم اليوميّة، وبناء عليه فإنّه يزلزل إيقاع الحياة اليوميّة للأسير في السجن.

- تتحكّم دولة الاحتلال بأصغر تفاصيل الحياة اليوميّة للأسير، وذلك بهدف إفقاد الأسير أيّ شعور لديه بالسيطرة أو الإرادة، فتتحكّم إدارة السجون بعدد الأشخاص الذين يجوز لهم زيارة المعتقل، ودرجة قرابتهم، وعدد الصور التي يجوز لهم إدخالها، وأماكن وضع هذه الصور داخل الغرف، وعدد المحطّات التلفزيّونيّة التي يجوز للأسير مشاهدتها، وماهيّة هذه المحطّات، والأوقات التي يمكن للأسير أن يستحمّ فيها، وألوان الملابس التي يجوز أن يرتديها، وحتّى شكلها والمادّة المصنوعة منها، وكذلك تتحكّم بالأوقات والأيّام التي يجوز للأسير أن يلعب فيها الرياضة، وغيره الكثير من التفاصيل الصغيرة التي

تترك أثراً كبيراً في نفس الأسير.

- يمكن القول بشكل واضح إنّ هندسة بناء السجون في دولة الاحتلال ليست عبثيّة، حيث تظهر التفاصيل التي أشار إليها الأسرى في هذه الورقة إلى طبيعة المبالغة في "الإجراءات الأمنيّة" التي تتّخذها دولة الاحتلال التي تحوّل هذه الممارسات من "إجراءات أمنيّة" إلى سياسة واضحة للتنكيل بالأسرى، فتحيط بالأسرى في سجون الاحتلال أسوار عالية، لا يقلّ طولها بالمعتاد عن 8 أمتار، وكاميرات مراقبة، وأسلاك شائكة، وتعلو معظم الفورات في السجون ألواح صاجيّة، أو باطون يحول من دخول الشمس بشكل حقيقيّ إلى الفورات، وبذلك يصبح شعور الأسرى وكأنّهم في آبار مياه معزولة عن العالم الخارجيّ بشكل تامّ.

- على الرغم من كلّ ممارسات الاحتلال، نجحت الحركة الأسيرة على مدار الأعوام الماضية في خلق وسط اجتماعيّ أقرب ما يمكن للطبيعيّ، بحيث يحاول الأسرى تحويل غرفهم إلى غرف أشبه ما تكون بغرفهم المعتادة، ويحيطون أنفسهم بما يذكّرهم بعائلاتهم، ويعيشون مع بعض لحظات إنسانيّة من الفرح عند نجاح، أو ولادة أحد الأقرباء، ولحظات أخرى من الحزن عند فقدان أحدهم.

- يشكّل السجن كمكان جزءاً من سياسة الاحتلال في معاقبة الفلسطينيّين، حيث لا تكتفي دولة الاحتلال فقط بمعاقبة الفلسطينيّين بالاعتقال جسديّاً لسنوات طويلة، وإنّما تشكّل منظومة السجون بهندستها، والممارسات اليوميّة فيها والقائمة على قمع الأسرى جزءاً من سياسة الاحتلال في العقاب.

مؤسسة الضمير لرعاية الأسير وحقوق الإنسان

الضمير مؤسسة أهلية فلسطينية مستقلة غير ربحية تعنى بحقوق الإنسان، أسسها في مدينة القدس المحتلة أواخر عام 1991 مجموعة من النشطاء والمهتمين بحقوق الإنسان لدعم ونصرة الأسرى والمعتقلين الفلسطينيين في سجون الاحتلال ومناهضة التعذيب، عن طريق المراقبة والمتابعة القانونية والحملات التضامنية.
يحيط بالضمير عدد من الأنصار والمتطوعين الذين يطلق عليهم (الضمائر)، وهم الأشخاص الذين يؤمنون بأهداف المؤسسة ويشاركون في نشاطاتها ويعملون على دعمها مادياً ومعنوياً.
الضمير عضو في شبكة المنظمات الأهلية الفلسطينية، مجلس منظمات حقوق الإنسان، الشبكة العالمية لمناهضة التعذيب، الائتلاف من أجل الدفاع عن الحقوق والحريات، الائتلاف الإقليمي لإلغاء عقوبة الإعدام، الائتلاف الدولي لمناهضة سياسة العزل، وغيرها من ائتلافات محلية وإقليمية ودولية.

رؤية المؤسسة:

يعيش المواطن الفلسطيني في دولة مستقلة ذات سيادة

رسالة المؤسسة:

تعمل مؤسسة الضمير على دعم كافة الأسرى والمعتقلين الفلسطينيين في سجون الاحتلال، وتدعم الضمير تمتع الفلسطينيين بممارسة حقوقهم السياسية والمدنية، وذلك عن طريق تفعيل آليات العمل القانونية، والمراقبة والمتابعة القانونية والتوعية المجتمعية وحملات الضغط والتضامن، بالاستناد إلى القانون الدولي لحقوق الإنسان، والقانون الدولي الإنساني.

أهداف الضمير:

أولاً: مناهضة جريمة التعذيب وغيره من ضروب المعاملة القاسية، أو اللاإنسانية أو المهينة والعمل على إلغاء عقوبة الإعدام.
ثانياً: مناهضة الاعتقال التعسفي وضمان المحاكمة العادلة والنزيهة.
ثالثاً: دعم وإسناد معتقلي الرأي والاهتـ
رابعاً: المساهمة في سن قوانين فلسطينية تصون مبادئ حقوق الإنسان والحريات الأساسية وضمان تنفيذها.
خامساً: المساهمة في الارتقاء بالوعي المجتمعي تجاه قضايا حقوق الإنسان والديمقراطية وسيادة القانون، وحقوق الشعب الفلسطيني غير القابلة للتصرف.
سادساً: بناء الحياة الديمقراطية في المجـ
سابعاً: حشد وتكريس التأييد والدعم الدولي لحقوق الشعب الفلسطيني المشروعة.

برامج الضمير:

برنامج الدعم القانوني:
يعمل هذا البرنامج على توفير الخدمة القانونية والحقوقية المجانية للأسرى والمعتقلين وعائلاتهم، من خلال متابعة قضايا التعذيب والمحاكمات والزيارات الدورية والإرشاد الحقوقي القانوني.

برنامج الدراسات والتوثيق:

تقوم وحدة التوثيق والدراسات بتوثيق وإعداد التقارير والدراسات والأوراق حول الانتهاكات التي يتعرض لها الاسرى والمعتقلين الفلسطينيين وعائلاتهم في السجون ومراكز التحقيق والتوقيف، وتعتمد وحدة التوثيق في عملها منهجية توثيقية حقوقية، ومهارات البحث الميداني، وآليات المراقبة الممنهجة للسجون والمعتقلات.

برنامج الضغط والمناصرة:

في إطار هذا البرنامج تقوم الضمير بأنشطة وحملات محلية وإقليمية ودولية تضامنية وضاغطة لمناهضة التعذيب والاعتقال التعسفي ونصرة الأسرى والمعتقلين وحريتهم ومساندة كافة مطالبهم، وانتاج كافة المواد المكتوبة والمسموعة والمرئية المتعلقة بقضية الأسرى والمعتقلين وعائلاتهم.

برنامج التوعية والتدريب:

تقوم الضمير من خلال برنامج التوعية والتدريب بعقد لقاءات جماهيرية ونشاطات توعوية حول حقوق الأسرى والمعتقلين وعائلاتهم، ويهدف برنامج الضمائر الى تفـ
والمعتقلين الفلسطينيين في سجون الاحتلال، كما وتعقد المؤسسة دورات متخصصة للمحامين المتدربين والعاملين في مجال الدفاع عن الأسرى والمعتقلين أمام المحاكم العسكرية التابعة لقوات الاحتلال، ولطلاب كليات الحقوق في الجامعات الفلسطينية.

للاتصال بنا:

البريد الإلكتروني: info@ addameer.ps
الموقع الإلكتروني: www.addameer.org
هاتف: 9722970136+ \ 9722960446+

فاكس: 9722960447+
العنوان البريدي: P.O.Box17338 القدس
العنوان: رام الله، الماصيون، شارع موسى طواشة، عمارة صابات، الطابق الأول